الدكتور محمد حسين علي الصغير

أساطين المرجعية العليا

في النجف الأشرف

دار سلوني

مؤسسة البلاغ

مكتبة الإمام
النجف الأشرف - العراق

أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف

الدكتور محمد حسين علي الصغير
الأستاذ الأول المتمرس في جامعة الكوفة

مؤسسة البلاغ
بيروت - لبنان

الإمام الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء ... داعيةً

الإمام الشيخ محمّد الحسين بن الشيخ علي بن الشيخ محمّد رضا بن الشيخ موسىٰ بن الشيخ جعفر ـ صاحب كشف الغطاء ـ (وبه تلقب الإسرة) بن الشيخ خضر الجناجي المالكي النجفي.

ولد في النجف الأشرف عام ١٢٩٤ هـ = ١٨٧٧ م، فأرخ عام ولادته شاعر عصره السيّد موسىٰ الطالقاني بقوله:

سـرورٌ بـه خُـصَّ أهـل الغـري ... فـعم المـغاربَ والمشـرقينْ
بـمولد مـن فـيه تـمّ الهـنا ... وَقَـرّتْ بـرؤيته كـلّ عـينْ
وقـدْ بُشّـرَ الشـرع مـذ أرخـوا ... (سـتثنىٰ وسـائدُهُ للـحسين)

١٢٩٤هـ

خصائص متميزة:

وقد صدقت نبوءة الشاعر فيه، فثنيت له وسائد الشرع الشريف، حتىٰ عاد كبير علماء الشرق علىٰ الإطلاق، والزعيم الروحي للعالم العربي والإسلامي في أربعينيات القرن العشرين وخمسينياته، وهو يمثل أصالة الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) وموسوعية علم الهدىٰ السيّد المرتضىٰ (ت ٤٣٦ هـ) وعلىٰ نهج الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) كما يجسد أفكار السيّد جمال الدين الأفغاني في النهضه والإصلاح.

كان ـ كما رأيته ـ آية في العبقرية والنبوغ، سريع الحفظ والإستظهار، قويّ العارضة، حاضر البديهة، ذو صوت جهوري ونبرات أخاذّة، مهيب الطلعة، صادق اللهجة، يزجر بعنفٍ وشدّة، ويستقبل بلطف ولين، الغضب بين عينيه شرارة نفاذّة في الإنكار، والبسمة على شفتيه عند الرضا في غبطة ومحبّة وتواضع، يُعنىٰ بأهل العلم، ويعظّم زعماء الدين، ويبجّلُ روّاد الأدب، يحتضن العاملين في مجالات المعرفة الإنسانية، ويحث على الاشتغال بعلوم الشريعة، ويصطفي الأداب سليقةً وفطرة، يهتز للقصيدة العصماء، ويسحر بالبيان وفن القول، ويشجع المتأدبين بعناية، ويثني علىٰ الشعراء البارزين، ويستحسن جيد الشعر ويستعيده، مع ظرفٍ بحدود، وأريحية في المزاج، وتحرر في المناخ العقلي، تبهره النكتة البارعة، وتعجبه اللفتة الذكيّة، ويطرب للتجديد في النثر والشعر والخطابة.

كان من الأوائل في النجف الأشرف الذين سنّوا إرتجال الخطب، وإرتقاء أعواد المنابر منشئاً ومنشداً وجريئاً في الأحداث الإجتماعية، ولدىٰ شدّ المشاعر الدينية والقومية، وعند الأزمات السياسية الحادّة، سلك في كلّ ذلك الاتجاه الوطني مركزياً، ووحدة العروبة والإسلام منهجياً، فإذا خطب فسحبان وائل، وإذا ارتجل ففصاحة قس بن ساعدة الأيادي، يهدر في خطابه كالسيل المنحدر من أعالي الجبال، يزين ذلك حسن الإلقاء، وضبط العربية، وجودة المقاطع والمخارج، مضمناً ذلك الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والحكم والأمثال وعيون الشعر العربي.

وظاهرة الإرتجال في عصره كانت لا تعدو الدقائق عند غيره، مع العي والحصر أحياناً، أمّا عنده فكانت تتجاوز الساعة والساعتين بأبلغ قول وأفصح بيان.

وكما يرتجل الشيخ النثر فقد يرتجل الشعر أحياناً إذا اقتضت الضرورة ذلك ، وقد يرتجل الدرس الفقهي والأصولي دون تحضير مسبق إذا اقترح عليه كما سترىٰ ، وأنت تجده في كلّ هذا حاضر البديهة قد أدرّعَ لكلّ حالةٍ لبوسها ، وارتدىٰ في كلّ مناسبة أبرادها ، غير قابل للملل والكلل ، نشيطاً لا يهدأ ، ومتحركاً لا يسكن ، وهذه خصائص الصفوة النادرة .

المخزون الثقافي لدىٰ كاشف الغطاء :

ولم تكن هذه القابليات المتعددّة وليدة الصدفة ، ولم تكن إعتباطية دون مقدمات ، وإنّما هي حصيلة المخزون الثقافي الهائل لديه ، نتيجة قراءاته المتنوعة في مختلف الفنون ، فهو قارئ لأعمق ما عند القدامىٰ ، وهو قارئ لأروع ما عند المحدثين ، يستمد أصالته الفكرية من التراث العربي الإسلامي ، ويستجد الحداثة والمعاصرة من الزخم اللغوي والأدبي والعلمي والفلسفي والأصولي والفقاهتي من جيل الروّاد الأوائل المواكبين لمسيرته العلمية ، فقد كان حريصاً علىٰ التحصيل والاشتغال غير مبذر للوقت ، وكان لا ينام بعد الظهيرة منذ شبابه حتىٰ وفاته ، ويخصص هذا الوقت للمطالعة والكتابة والتحضير حتىٰ وقت متأخر من العصر كما حدّثني بهذا سكرتيره الخاص الشيخ عبد الغني الخضري رحمه الله .

وقد حرص علىٰ حضور أبحاث المراجع العظام في الفقه والأصول وعوالم التشريع ، وكرّس جهده مستنيراً بآراء العلماء في الحكمة والفلسفة وعلم الكلام والإلهيات ، لهذا فقد كان متخرجاً في أبرز مدارس القوم العليا ، وعند فطاحل عصره أمثال :

١ ـ الشيخ ملا محمّد كاظم الأخوند الخراساني (ت ١٣٢٩ هـ) زعيم

الحركة الدستورية، ومؤلف كفاية الأصول.

٢ ـ السيّد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي (ت ١٣٣٧ هـ)، وهو أستاذه الخاص، وقد أجازه بالاجتهاد، وكان وصيه.

٣ ـ الشيخ محمّد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية الكبرىٰ ١٩٢٠ م المتوفّىٰ (١٣٣٩ هـ).

٤ ـ الشيخ آغا رضا الهمداني صاحب الموسوعات الفقهية الاستدلالية في الصلاة والطهارة والكتب الأخرىٰ.

٥ ـ الشيخ أحمد الشيرازي من أبرز علماء عصره في النجف.

٦ ـ الشيخ محمّد رضا النجف آبادي الأستاذ المتميز في عهده.

٧ ـ الميرزا محمّد باقر الاصطهباناتي الأخلاقي الكبير.

وقد أخذ الأدب لنفسه، والبلاغة من مصادرها، والتراث من ينابيعه الأولىٰ، حتىٰ برع في كلّ فن، وأخذ من كلّ علم بطرف، فبزغ نجماً في سماء الفضل، ولمع كوكباً في عالم الإجتهاد، ولاح بدراً في حياة الأدب، وأحرز قصب السبق في ميدان الخطابة، لا يشقّ له غبار، ولا يدرك شوط، فهو فارس كلّ حلبة، وخرّيت كلّ مضمار، مع قوة قلب، ورباطة جأش، وصلابة عود، يضاف ذلك كلّه إلىٰ مجده الطارف والتليد في أسرة علمية متميزة، إمتدت زعامتها الدينية قرنين من الزمان، أنجبت فحول المجتهدين، وخرجت جهابذة العلم، وتفوقت بضم فضيلة الأدب اللباب إلىٰ جنب العلم الصراح، حتىٰ إذا اتصلت وشائج تلك الأصول الثابتة بالإمام كاشف الغطاء، غذّاها بملكاتها الفائقة، وسقاها بمنابعه الفياضة، حتىٰ عاد مضرب المثل في الابداع والتجديد والإضافة، مع سلامة النيّة، وشريف الهدف، وطهارة الضمير.. في فطرة خالصة نقيّة.

رؤية ومشاهدة :

هكذا رأيت الإمام كاشف الغطاء ، وهكذا رآه الآخرون ممن شاهدوه . باحث وحاضر وناظر في الدرس العالي (البحث الخارج) الذي انفردت به الحوزة العلمية في النجف الأشرف ، ومن ثمّ انتشر في الحوزات العلمية في الديار الإسلامية .

أقول : حاضر في علمي الفقه والأصول نصف قرن من الزمان وقد حُدِّثْتُ أنّه أقامه في مدرسة أُستاذه الأكبر السيّد محمّد كاظم اليزدي (ت ١٣٣٧ هـ) المرجع الأعلىٰ في عصره ، وبالمكان الذي يباحث فيه اليوم ٧ / ٧ / ٢٠٠٢م أُستاذ البحث الخارج الشيخ محمّد اسحاق فياض دام ظلّه ، وتقع هذه المدرسة المباركة في عطائها العلمي في محلّة الحويش في النجف بين السوق وشارع الرسول وبالقرب من دار استاذ العلماء والأصوليين الشيخ الميرزا محمّد حسين الغروي النائيني (ت ١٣٥٥ هـ) .

وانتقل الإمام كاشف الغطاء بالبحث الخارج إلىٰ مقبرة المجدد الميرزا محمّد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢ هـ) إلىٰ جنب باب الشيخ الطوسي للصحن الحيدري الشريف ، وفي الجهة الشمالية له في محلة المشراق في النجف ؛ وهي قائمة إلىٰ اليوم وبجنبها جزء من مدرسته العلمية ، ودخل القسم الآخر في دورة الصحن المقدّس .

ورأيت الإمام كاشف الغطاء وهو يصلّي الجماعة في الجهة الشرقية للصحن بين باب السوق الكبير في نهايتها متجهة إلىٰ القبلة في بدايتها ، وبالضبط في بهو الصحن الممتد ما بين مقبرة السيّد أبي الحسن الموسوي ومقبرة السيّد حسين القمّي ، والأولىٰ تقع عند مدخل السوق الكبير يساراً

للداخل للصحن الشريف، والثانية هي الغرفة الرابعة من نهاية الصحن بالإتجاه المعاكس تماماً.

أقول: لك أن تستمع إلىٰ مزامير داود عند قراءة الشيخ للفاتحة والسورة في جماعته بخشوع وخضوع، ولك أن تتمتع بصوتٍ متجاوب النبرات، يجعلك ساهماً، ويوقفك مستمعاً، والناس من خلفه يصلّون خاشعين، وآخرون بإزائه وعن يمينه وشماله يستمعون حالمين، فقد أعطيَ كاشف الغطاء منحة إلٰهية بحسن الأداء، واستطالة الصوت، ورقّة النغمات، وتراصف الكلمات، وكان ذلك قد أفرغ في قالب خاص به، ومنسوب إليه وحده.

فإذا قبّلت يده بعد الصلاة، وسألته بعض الفروع الفقهية، حدّق إليك بعينيه الواسعتين، وأنت تنظر إلىٰ تقاطيع وجه السمراء، ولحيته البهيّة الحمراء، ويأخذ بالجواب الواضح في آفاق عليها مسحة من يسر وإسماح، حتّىٰ تقف علىٰ الحقيقة ناصعة وأنت مقتنعٌ ومنبهرٌ بآنٍ واحد.

فإذا سألت عن حاله وصحّته، قابلك بالبسمة والأدب الجم، وأجابك متهدجاً في ردّه، بأنّه والحمد لله في خير عميم، وكأنّه خدينك وقرينك، وإن كان الفارق الزمني بينكما في العمر خمسين عاماً.

وهو بعد يصل ما أمر الله به أن يوصل، يحضر مناسبات الأُمّة، ويتبنىٰ شعار الأئمة «صِلْ مَنْ قطعَك»، فتراه في أوّل الركب المتواصل مع رحمه وقومه ومجتمعه، ومظاهر هذا الملحظ عديدة: المجالس الخاصّة / النوادي الأدبية / المآتم الحسينية / المهرجانات الوطنية / الفواتح ومحافل التأبين / الدواوين العلمية النجفية / الطقوس والواجبات المتنوعة، يمرّ بها وهو منطلق ويتعهدها وهو متحفز، فإذ حضر ذلك كان له فصل الخطاب،

وعليه حسن الإبتداء، ومنه أدب الجواب، ولديه جودة التخلص والختام، متمتعاً بسيماء الهيمنة وحشمة الوقار.

لا أُغالي بهذا كلّه ولا أبالغ، بل له كلّ هذا، وفوق هذا كلّه، لأنّه ظاهرةٌ فريدة قائمة بذاتها.

شاهدته في الصبا عند حضوره ديوان جدّي الشيخ حسين الصغير (ت ١٣٦٩ هـ) عدّة مرات، وهو صديق قديم له منذ أيام التلمذة عند أُستاذهما السيّد الطباطبائي اليزدي قدّس سرّه.

وشاهدّته في أوائل الخمسينات وبالضبط في محرم الحرام عام ١٣٧١ هـ في جمعية التحرير الثقافي في النجف الأشرف وهو يحضر احتفاليتها في ذكرىٰ شهداء الطف، يستمع إلىٰ منظومها ومنثورها قصائد وكلمات، وكان عميدها الشيخ عبد الغني الخضري قد ألقىٰ محاضرة ذهب فيها خلافاً للواقع (أنّ الكوفة عثمانية وأنّ البصرة علوية) فصاح به الشيخ بعد انتهاء الاحتفال وإنتهره، وفنّد آراءه نقطة نقطة، والخضري بمثابة سكرتيره الخاص، فاصفر وجهه، واستنجد بالاستاذ علي الخاقاني لنصرته فما إستطاع.

وشاهدّته في ديوانه الرسمي (الطنبية) وهي عبارة عن غرفة واسعة كبيرة بنيت في دار الشيخ جدّه الأكبر في الطابق الأعلىٰ من البيت تتسع لمئات من الناس، وهو يتصدرها متحدّثاً ومفتياً وقاضياً وحكماً وأديباً ولبقاً ومستطرفاً، وعليه هيبة الدين وسيماء القديسين.

ورأيته في المجلس الأدبي والعلمي الرائع للمغفور له الشيخ قاسم محي الدين (ت ١٩٥٧ م) يصول ويجول مقلباً الآراء، ومستقطباً العلماء والأدباء، ومع وقاره وسؤدده فقد يرسل النادرة، ويستعذب المِلح.

وما أكثر ما رأيته بعيني ولكنّ رؤيته بقلبي، هي التي سيطرت علىٰ مشاعري ومداركي، ولدىٰ وفاته أُصِبْتُ بكمدٍ شديد انفجر عن أوّل نظمي للشعر في رثائه كما سترىٰ فيما بعد.

وعلىٰ ذكر الشعر، فللإمام كاشف الغطاء صِلات مؤكدة مع أبزر شعراء عصره، وهم عادةً ما ينفضّون عن الإلتصاق بالزعماء الروحيين آنذاك، أو يكون التقاؤهم معهم بحدود ذات مراسم دبلوماسية لا أكثر ولا أقل، أمّا مع الإمام كاشف الغطاء فتختلف الحال، فأصدقاؤه من الشعراء لا يحصون أمثال: الشيخ جواد الشبيبي، وولديه الشيخ محمّد رضا والشيخ باقر، والشيخ عبد الحسين الحلّي، ومحمّد مهدي الجواهري الذي كان مصمّماً علىٰ رثائه إلّا أنّ لجنة التأبين الأربعينية أساءت التصرف مع الأستاذ الجواهري، فترك الرثاء، والسيّد أحمد الصافي النجفي، والشيخ علي الشرقي، والشيخ عبد الرزاق محي الدين، والسيّد محمّد صالح بحر العلوم، والشيخ مهدي الحجّار، والشيخ جواد السوداني، والشيخ عبد الحميد السماوي، والسيّد محمّد حسين الكيشوان، والشيخ عبد المهدي مطر، والشيخ محمّد رضا المظفّر، والشيخ محمّد ظاهر الشيخ راضي، والشيخ محمّد علي اليعقوبي، والسيّد محمود الحبوبي، والسيّد محمّد جمال الهاشمي، والشيخ علي الصغير، والشيخ عبد المنعم الفرطوسي، والشيخ عبد الغني الخضري، والأستاذ صالح الجعفري، والشيخ عبد الحميد الصغير، والسيّد مصطفىٰ جمال الدين.

وهؤلاء بعرف النجف الأشرف يمثلون حركة التجديد في الشعر باستثناء الشيخ مهدي الحجار الذي يمثل مع الشيخ كاظم السوداني وجماعته طبقة الشيوخ.

الإمام كاشف الغطاء في يوم من حياته :

عرف عنه أنّه يستيقظ قبل الفجر لصلاة الليل ، ثمّ يصلّي الفجر ويقرأ القرآن ويدعو ، ثمّ يبدأ بالمطالعة وإجابة الأسئلة الفقهية تحريرياً ، حتّىٰ إذا طلعت الشمس تناول إفطاره ، وعاد إلىٰ الكتابة والمطالعة حتّىٰ الضحىٰ ، وعند التاسعة صباحاً يخرج إلىٰ مقرّ إفتائه في مدرسته العلمية القائمة حتّىٰ هذا اليوم ٥ / ٧ / ٢٠٠٢ م في محلة العمارة بجوار مسجد آل كاشف الغطاء ومقبرتهم الخاصّة ذات القباب الزرقاء .

ويجلس عند مكتبته العامرة يستقبل الوافدين ورجال الدين ، وذوي الحاجات ، ويفصل بين المتخاصمين ، ويوفق بين الأشتات ، ولا يغادر حتّىٰ آذان الظهر ، يستقبل الصلاة في الحرم الحيدري أو في داره ، وهو لا ينام الظهر بعد تناول الغداء ، وإنّما يخرج إلىٰ حجرة مخصصة لشؤونه في مدرسته العلمية وقد أعدّها للتصنيف والتأليف والمطالعة كما سبق بيان ذلك .

وعند الغروب يذهب إلىٰ الصحن الحيدري لأداء الصلاة جماعة ـ مغرباً وعشاء ـ وقد يزور الحرم العلوي بعدها ، ومن ثمّ يذهب إلىٰ درسه العالي «البحث الخارج» فيحاضر في الفقه ، وهو يرتقي المنبر عند الدرس كما مرّ ذكره آنفاً ، ويعود إلىٰ الدار أو المجلس أو الندوة ، بعدها ينكبّ علىٰ التحصيل العلمي حتىٰ منتصف الليل ليذوق بعدها غرارة من النوم حتّىٰ قبيل الفجر .

دائرة المعارف العليا :

وسمىٰ الإمام مجموع فتاواه «دائرة المعارف العليا» فهي عجيبة الأبعاد ، تضم الإجابة عن الفقه والأصول والحكمة والفلسفة والآداب والسياسة وعلوم القرآن والتفسير ، وعلم الإجتماع والأحتكام الأدبي وعلم الحديث والدراية والرواية ، وعلم الكلام والأحتجاج والعقائد والديانات والشُبه والجرح والتعديل وسوىٰ ذلك ، وقد سرحت طرفي بعوالمها ، الرائدة فكانت كما أسماها .

والحق أن الإمام كاشف الغطاء في حدّ ذاته دائرة معارف كبرىٰ في جملة الفنون الإنسانية ، لإستحضاره كثيراً من العلوم نتيجة مخزونه الثقافي الثَّر ، وعبقريته في هذا المجال مترامية الأطراف ، إخترت نموذجاً منها للاستذكار العلمي لديه دون إعداد أو تحضير ، ولا تخطيط أوَّلي .

لقد زار النجف الأشرف قبل خمسة وسبعين عاماً تقريباً ، وبالضبط في ليلة ٢١ / رمضان / ١٣٤٩ هـ = عام ١٩٣٠ م وفد مصري رفيع المستوىٰ برئاسة الأستاذ الدكتور أحمد أمين صاحب «فجر الإسلام» و «ضحىٰ الإسلام» و «ظهر الإسلام» وسواها .

وبعد زيارة ضريح أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام ، قرر الوفد زيارة الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء ، فاجتمع به الوفد في داره ، وزار المجتمعون مكتبته العامرة وتمتعوا كثيراً بنفائسها ، والتي أسماها «مكتبة علي والحسين» لأنّ مؤسسها والد الشيخ علي صاحب «الحصون» ومجددها هو نفسه ، وأعجبوا كثيراً بجهود والده الشيخ علي في إستنساخ مخطوطات العالم الثمينة بيده ، وبخطّه الجميل الأخّاذ .

دارت بين الوفد والإمام كاشف الغطاء أحاديث ومناظرات، وعتاب وإستغراب، فتوجهوا إليه بالأسئلة في مواضيع شتّىٰ فأجاب، وقد أحسن صنعاً صديقنا الأستاذ الشيخ صالح الجعفري بتدوين ذلك كلّه علىٰ الفور، وقد نشرت هذه المناظرة الفريدة مجلّة العرفان الصيداوية في لبنان بالجزء الثالث من المجلد الواحد والعشرين في السنّة ذاتها.

قال الإمام كاشف الغطاء:

من العسير أن يلم بأحوال النجف وأوضاعها وهي تلك المدينة العلمية المهمّة شخص لا يلبث فيها أكثر من سواد ليلة واحدة، فإنّي قد دخلت مصركم قبل عشرين سنة، ومكثت فيها مدّة ثلاثة أشهر متجولاً في بلدانها باحثاً ومنقباً، ثمّ فارقتها وأنا لا أعرف من أوضاعها شيئاً اللهم إلّا قليلاً ضمنته أبياتاً أتذكّر منها:

تبزغ شمس العلىٰ ولكن ... من أفقها ذلك البزوغ
ومثلما تنبغ البرايا ... كذا لبلدانها نبوغ
أكثر شيء يروج فيها ... اللهو والزهو و(النزوغ)

فضحكوا من كلمة (النزوغ)، وقال الأستاذ أحمد أمين مخاطباً الشيخ: قلتم هذا قبل عشرين سنة؟.

قال: نعم، وقبل أن ينبغ (طه حسين)، وينزغ (سلامه موسىٰ) ويبزغ (فجر الإسلام) وقد ضمنتَهُ ـ مخاطباً أحمد أمين ـ من التلفيقات عن مذهب الشيعة ما لا يحسن بالباحث المؤرخ إتّباعه.

أحمد أمين: ولكن ذلك ذنب الشيعة أنفسهم إذ لم يتصدوا إلىٰ نشر حقيقة مذهبهم في الكتب والصحف ليطّلع العالم عليه.

الشيخ: هذا كسابقه... فإنّ كتب الشيعة مطبوعة ومبذولة أكثر من

كتب أي مذهب آخر، وبينها ما هو مطبوع في مصر، وما هو مطبوع في سوريا، عدا ما هو مطبوع في الهند وفارس والعراق وغيرها، هذا فضلاً عمّا يلزم للمؤرخ من طلب الأشياء من مصادرها.

أحمد أمين: حسناً سنجتهد في أن نتدارك ما فات في الجزء الثاني.

أحمد أمين: هل يسمح لنا العلّامة في بيان العلوم التي تقرأونها؟.

الشيخ: هي علوم النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والحكمة والكلام وأصول الفقه والفقه وغيرها.

أحمد أمين: ما هي كيفية التدريس عندكم؟

الشيخ: التدريس عندنا على قسمين:

١ ـ سطحي... وهو أن يفتح التلميذ كتاباً من كتب العلوم المتقدّمة بين يدي أستاذه فيقرأ له هذا عبارة الكتاب ويفهمها التلميذ، وقد يعلق عليها ويورد ويعترض ويشكل ويحل وغير ذلك مما يتعلق بها.

٢ ـ خارج... وذلك أن يحضر عدّة تلاميذ بين يدي الأُستاذ فيلقي عليهم الأُستاذ محاضرة تخص العلم الذي إجتمعوا ليدرسوه، ويكون هذا غالباً في علوم الفقه والأصول والحكمة والكلام، مع ملاحظة أنّ التلميذ بكلا القسمين يكون ذا حريّة في إبداء آرائه واعتراضاته وغيرها.

أحمد أمين: أنّ البعثة تودّ أن تسمع لبحثكم فهل أنتم فاعلون؟

الشيخ يجيب طلب البعثة بالقبول فيرقى المنبر ويجتمع حوله من حضر الجلسة من تلاميذه ونظراً لأنّ الشيخ على غير سابقة عهد، وعلى غير تهيئة وتمهيد لنوع العلم الذي سيبحث فيه، لهذا تركوا له الحرية في إختيار العلم، ومن أجل هذا يرى القارئ البحث الآتي ذا فصلين، فقه وأصول عقائد، وهنا أبتدأ سماحته مرتجلاً فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

قال تعالىٰ: ﴿وَلا تَقْرَبوا مالَ اليَتيمِ إلّا بالتي هي أحسنُ﴾[١]، تشتمل هذه الآية علىٰ عقدين: عقد سلب، وعقد إيجاب.

أمّا عقد السلب ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾، فهو من الأساليب القرآنية التي اخترعها وارتجلها في الاستعمالات العربية ولم تكن معروفة من ذي قبل، وقد تكررت هذه الجملة في الكتاب الكريم.

وهي تارة تتعلق بالأفعال مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلا تَقرَبُوا الفواحشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَمَا بَطَنَ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِنا إنَّهُ كانَ فاحشةً ومَقْتاً وَساءَ سبيلا﴾[٣]، وقوله: ﴿لاَ تَقْرَبُوا الصلاةَ وأنتمْ سُكارىٰ﴾[٤]، ويكون المراد منها حينئذ علىٰ سبيل الاستعارة بالكناية المبالغة في التحذير عن ارتكاب ذلك الفعل، الزنا والصلاة مع السكر أو غير ذلك... وشبه اسم المعنىٰ باسم العين، فحذر من قربه فكيف بملاصقته أو الدخول فيه... وأُخرىٰ تتعلق بالأعيان مثل قوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبا هذِهِ الشَجَرَةَ﴾[٥]، وقوله: ﴿إنَّما المُشْرِكُونَ نَجَس فَلا يَقْرَبُوا المَسجِدَ الحَرام﴾[٦]، ومن هذا القبيل آية العنوان التي هي من براعة الصنعة وإبداع البيان بمكان، وحيث أنّ النهي لا يتعلق بالأعيان رأساً، بل لا بدّ من توسيط فعل مقدر في البين يناسب تلك العين، فإذا قيل: حرمت أمهاتكم عليكم ـ يعني العقد عليهن، وإذا

---

(١) سورة الأنعام ٦: ١٥٢، سورة الإسراء ٣٤: ١٧.
(٢) سورة الأنعام ٦: ١٥١.
(٣) سورة الإسراء ١٧: ٣٢.
(٤) سورة النساء ٤: ٤٣.
(٥) سورة البقرة ٢: ٣٥، سورة الأعراف ٧: ١٩.
(٦) سورة التوبة ٩: ٢٨.

قيل: حرمت الخمر ـ يعني شربها، وإذا قيل: حرم الميسر والقمار ـ يعني اللعب بهما، وهكذا يقدر في كلّ مكان ما يناسبه، بل إظهر ما يتعلق به الأفعال التي تطلب من تلك العين وممّا هي معدّة له، فلا يراد من قول: حرمت الخمر حرمة كلّ الأفعال التي يمكن أن تتعلق بها فيحرم لمسها أو النظر إليها أو التداوي بها وهكذا... كلا! بل ليس المراد إلّا حرمة شربها، وعليه فيكون المراد والمعنىٰ بالآية التي في العنوان: لا تتصرفوا في مال اليتيم التصرفات المطلوبة عند العقلاء من المال بالإتجار به في بيع أو شراء أو صلح أو رهن أو إدانة أو غير ذلك.

والغرض أيضاً بهذا النحو من البيان شدّة التحذير والنهي عن التصرف في مال اليتيم، وأن قربه لا يجوز فكيف الوقوع فيه، وليس المراد النهي بوجه عام عن القرب لمال اليتيم بحيث يكون المعنىٰ والمقصود النهي عن المعاملة بمال اليتيم بوجه مطلق من رفع أو وضع أو فعل أو ترك إلّا بالتي هي أحسن.

أمّا حيث لا تريدون التصرف فلا شيء عليكم، وإن كان التصرف أحسن بخلافه علىٰ الوجه الثاني، فإنّ مفاده لزوم التصرف بالأحسن بوجه يعم الفعل والترك والصرف والإبقاء، وهذه الجملة أعني عقد السلب تؤيد الحكم الضروري من حرمة التصرف بمال الغير مطلقاً صغيراً أو كبيراً بغير إذنه، وليس هو المقصود أصالة بالبيان بالضرورة، وإنّما المقصود عقد الأيجاب وهو إعطاء الرخصة بالتصرف في مال اليتيم إذا كان في التصرف مصلحة فيكون مخصصاً لما دلّ علىٰ عموم حرمة التصرف في مال الغير، إنّما الكلام في مقدار تلك الرخصة وحدودها حسبما يستفاد من الآية، فإنّ محور البحث والنظر يدور من هذه الجهة علىٰ تشخيص المراد من لفظ

(الأحسن)، وهل هو من أفعل التفضيل نظير: الصلاة خير من النوم، أو صفة مشبهة نظير: النوم خير من الله، وعلىٰ الأوّل؛ فهل المراد الأحسن بقول مطلق أي مالا أحسن منه، أو الأحسن نسبياً أي الأحسن من تركه، وإن كان غيره أحسن منه، وعلىٰ الثاني فهل المراد منه ما إشتمل علىٰ مصلحة أو يكفي خلوه عن المفسدة بناء علىٰ أن كلّ ما ليس بحرام فهو حسن.

ثمّ لمّا انتهىٰ الكلام إلىٰ هذا المقام طلب بعض الحضور تغيير الموضوع ونقل البحث إلىٰ مسألة من المسائل الإعتقادية وأساسيات أصول الدين، فأوصل سماحته الكلام إقتضاباً من غير رويّة ولا تمهّل، ونقل البحث إلىٰ مسألة الحاجة إلىٰ الأنبياء وضرورة البعثة فقال:

إنّ النظر في عامّة أحوال البشر يعطي أن أعرق صفاته وألصقها فيه وأقدمها عهداً به هي الخلال الثلاث التي لا يجد عنها محيصاً ولا منها مناصاً مهما كان، ألا وهي الجهل والعجز والحاجة، وهذه الصفات هي منبع شقائه وأصل بلائه وكلّما توغل الإنسان في العلم والمعرفة تطامن للإعتراف بما توصل إليه من العلم بعظيم جهله، وإن نسبة معلوماته إلىٰ مجهولاته نسبة القطرة إلىٰ المحيط وكان أكبر علمه جهله البسيط.

وقد سئل أفلاطون حين أشرف علىٰ الرحلة الأبدية عن الدنيا، فقال: «ما أقول في دار جئتها مضطراً، وها أنا أخرج منها مكرهاً، وقد عشت فيها متحيراً، ولم أستفد فيها من علمي سوىٰ أني لا أعلم»، وقال سولون الحكيم: «ليس من فضيلة العلم سوىٰ علمي بأني لا أعلم»، ومن استقصىٰ كلمات حكماء اليونان وغيرهم وجد لكلّ واحد منهم مثل هذه الكلمات، والتشبع بهذه الروح السارية إلىٰ متضلع في الفضيلة متشبع بروح الفضيلة

من علماء الإسلام وحكمائهم، حتىٰ قال الشافعي (رضي):

وإذا مـــا ازددت عـلماً زادنـــي عـلماً بـجهلي

والرازي يقول:

نـــهايةُ إدراكِ العـقولِ عـقالُ وغـايةُ سـعي العـالمينَ ضـلالُ

ولم نستفدْ من بحثنا طولُ عمرنا سوىٰ أن جمعنا فيه قيل وقـالوا

حتىٰ أنّ علماء الغرب وكبار المخترعين الذين حوروا الدنيا إلىٰ هذا الشكل العجيب يعترفون بعدم وصولهم إلىٰ حقائق الأشياء، فهم وإن اخترعوا الكهرباء لا يعرفون حقيقتها، هذا فضلاً عن الروح والنفس والحياة، وهذا مجال لا يأتي عليه الحصر، فالإنسان عريق بالجهل لصيق بالعجز والحاجة، ولا شقاء ولا بلية إلّا وهي منبعثة إليه من ذلك، وعقول البشر بالضرورة غير كافية لرأب هذا الصدع، وثأي هذا الثلم، وسدّ هذا العوز، فالعناية الأزلية التي أوجدت هذه الخليقة لو تركتها علىٰ هذه الصفة تكون قد أساءت إليها بإيجادها وما أحسنت الصنيع بنعمة الوجود عليها، ولكان الأحرىٰ لو تركتها في طوامر العدم، وأطمار الفناء، ويكون ذلك نقضاً للحكمة وافساداً للنعمة.

إذاً فلا بدّ من إيجاد رجال كاملين في أنفسهم مكملين لغيرهم يكونون كحلقة الاتصال بين الخالق والخلق، وهمزة الوصل بين العبد والربّ، فإنّ السعادة منه وإليه، وأولئك هم السفراء والأنبياء الذين بهم يتمّ الحجّة وتستبين المحجّة، وحينئذ تكون سعادة كلّ إنسان وشقاؤه بإختياره.

قال تعالىٰ: ﴿**وهديناه النجدين**﴾[1]، وقال: ﴿**إنّا هديناه السبيل إمّا**

---

(١) سورة البلد ٩٠: ١٠.

شاكراً وإمّا كفورا﴾ [1] وتكون حينئذ لله على الناس الحجّة البالغة، نعم وكلّ هذا موقوف على إثبات الصانع الحكيم المنزه عن العبث والظلم، فضلاً عن الجهل والعجز.

وهناك أدلى الشيخ بالحجّة وأملى أصول البرهنة على وجود الإله الحقّ بعدّة قواعد لا يساعدنا ضيق المجال لسردها وعدّها تفصيلاً، ولكن نكتفي بالإشارة إليها وعلى وجه الإجمال:

١ ـ قاعدة (إنّ ما بالعرض لا بدّ وأن ينتهي إلى ما بالذات).

٢ ـ إنّ المعطي الشيء لا يكون فاقده.

٣ ـ إنّ الصدفة في النواميس الدائمة الكليّة والأشياء المتكررة مستحيلة.

٤ ـ إمكان الأشرف.

٥ ـ قاعدة اللطف.

وأمثال ذلك من أُمّهات قواعد الحكمة وأصول الفلسفة الحقّة، ثمّ أرتأى في هذا المقام أن يختم البحث لضيق الوقت وهكذا كان، وعندما نزل الشيخ من المنبر دارت بينه وبين أحمد أمين الأحاديث الآتية:

أحمد أمين: هل الاجتهاد عند الشيعة مطلق أو مقيّد؟

يريد بذلك، هل هو اجتهاد في الكتاب والسنّة رأساً كما اجتهد الأئمة الأربعة في الأدلّة الأربعة (الكتاب والسنّة والاجماع والعقل)، ومنه القياس عندهم، أو هو إجتهاد في فتاوى الأئمة المعروفين كاجتهاد العلماء الذين بعدهم في كلماتهم وعلى الأصول المقررة عندهم فيكون المجتهد مقيّداً

---

(١) سورة الإنسان ٧٦: ٣.

بطريقة ذلك الإمام من حنفي أو شافعي أو غيرهما ، وهذا جواب الشيخ :

الإجتهاد عندنا مطلق يستنبط كلّ مجتهد الأحكام الشرعية من نفس الكتاب والسنّة غير مقيد بكلام مجتهد آخر مهما كان ، ولكن علىٰ أصول وقواعد مقررة عند الجميع ، وهي القواعد التي يتكفل بها علم أصول الفقه ، وهذه القواعد بعضها متفق عليه عند الجميع ، وبعضها أيضاً موضع نظر واختلاف فتكون اجتهادية أيضاً ، ولكلّ مجتهد فيها رأيه الخاص الذي يبرهن ويبني عليه طريقة الإستنباط .

أحمد أمين : ما هي الأدلّة التي يبتني عليها الإجتهاد عندكم ؟

الشيخ : هي الكتاب والسنّة ـ ونعني بها الأخبار الواردة عن المعصومين ـ .

أحمد أمين : هل هناك شيء يعارضها ويتقدّم عليها ؟

الشيخ : كلا لا يعارضها شيء ، ولا نرفع اليد عن الخبر الصحيح المعتبر إلّا إذا كان مصادماً لضرورة العقل الفطري كما لو ورد خبر بجواز شهادة الإنسان لأخيه المؤمن في دعوىٰ يدّعيها علىٰ الغير مع عدم علم الشاهد بتلك الدعوىٰ وإن كان عالماً بأنّ ذلك المدّعي لا يدّعي باطلاً ، فإنّ مثل ذلك الخبر لانعمل به مهما كان .

أحمد أمين : هل يوجد تعارض في أخبار الأئمة ؟

الشيخ : نعم .

أحمد أمين : كيف يتناقض كلامهم مع أنكم تشترطون فيهم العصمة ؟

الشيخ : لا تناقض في الجوهر ، وإنّما التناقض في الأخبار الواردة عنهم أو في ظواهر كلماتهم ، أمّا في الحقيقة لا تعارض ولا تناقض ، وإنّما

هو إختلاف في ظاهر الكلام، كالإختلاف الذي يوجد في ظاهر الكتاب الشريف وهو القرآن العزيز غير عزيز قال تعالىٰ: **﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنسٌ ولا جان﴾** (١) وقال عزّ شأنه: **﴿وقفوهم إنّهم مسؤلون﴾** (٢) ولكلّ وجهة وخاصة.

وعلىٰ الجملة، فحال السنّة والأخبار كحال الكتاب الكريم فيه النص والظاهر والمجمل والمبين والمطلق والمقيد والعام والخاص والحكم الواقعي والحكم الظاهري، والأحكام الموقتة التي تقتضيها الأوقات والظروف والأحوال والحوادث الزمنية، ويقابلها الأحكام المؤبدة التي لا تتغير بتغير الأحوال وتبدل الزمان.

ووظيفة المجتهد الفقيه البالغ تلك المرتبة السامية والملكة الراسخة هي تمييز بعضها عن بعض، والجمع بين متعارضاتها، ورد بعضها إلىٰ بعض، واستخراج العلل والأسباب التي أوجبت ذلك التعارض، واستنباط الحكم الصحيح حسب القواعد من مجموعها، أمّا التعارض والتناقض الواقعي حسب الحقيقة والجوهر فهو مستحيل عندنا بعد البناء علىٰ عصمة الأئمة.

أحمد أمين: ما الدليل علىٰ عصمة الأئمة؟

الشيخ: حكم العقل الضروري.

فهش واستبشر وكان طلب من الشيخ البيان والإيضاح، فقال أنه بسيط جداً.

وأنا سائلك: ما الحكمة والغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب؟.

---

(١) سورة الرحمٰن ٥٥: ٣٩.
(٢) سورة الصافات ٣٧: ٢٤.

أحمد أمين : الهداية والإرشاد والتهذيب .

الشيخ : إذن فهل يحصل الإرشاد من شخص يقول لا تكذب وهو يكذب ، ولا تشرب الخمر وهو يشرب الخمر ، ولا تزنِ وهو يرتكب الزنا ، وهل يحصل الغرض وتتم الفائدة من الهداية من شخص يجوز عليه الغلط والغفلة والنسيان والإشتباه ، ولا شك في أنّ الجواب بالسلب ، وإذا كان إرسال الرسل وبعث الأنبياء واجباً بالحكمة حسب العناية الأزلية ، فالعصمة أشدّ لزوماً وأقوىٰ وجوباً ، وإلّا بطل الغرض ، وماتت الفائدة ، وإنتقضت الحكمة .

أحمد أمين : مالدليل علىٰ إنفتاح باب الاجتهاد عندكم ؟

الشيخ : وما الدليل علىٰ انسداده ؟ وأي آية أو خبر تدلّ علىٰ الحجر علىٰ العقول والضغط علىٰ الأفكار ، وسلب هذه الحرية الفكرية التي منحها الله لعباده ، وكانت من أفضل نعمه علىٰ خلقه ، غاية ما هناك أنّ الله سبحانه رأفة بالعباد ورفعاً لمشقّة الإجتهاد ، ورعاية لحفظ نظام الهيئة الاجتماعية ووجوب قيام كلّ طائفة بشأن من الشؤون الضرورية فتتوزع الأعمال وتتبادل المنافع ، لذلك كله رفع وجوب الاجتهاد عن كلّ فرد من المكلّفين وأطلق لهم السراح في ذلك ، فجعل وجوبه كفائياً وأجاز رجوع العامّة إلىٰ المجتهدين ، وتقليدهم في أمور الدين .

أمّا من أنفت نفسه ، وسمت همته عن حطة التقليد وخطة الإتباع ، وأراد أن يأخذ الحكم من دليله علىٰ قواعد الفن والصناعة ؛ فأي دليل علىٰ منعه وحجر ذلك عليه ؟ وهل تجد عاقلاً في الدنيا يمنع عن العلم ويأمر بالجهل ؟ وأن مذهباً يكون هذا الحكم من دعائمه وقواعده أحرىٰ بأن يسمىٰ مذهب الجهالة والتضليل ، ومن آراء العصور المظلمة وبقايا أديان

الجاهلية والإستبداد، أما دين الإسلام فهو أرفع وأنصع من ذلك، ولو لم يكن دليل علىٰ شرف مذهب الشيعة وصحة قواعده وأصوله إلّا هذا لكفىٰ.

إنتهىٰ كلام الشيخ مع أحمد أمين، ولو أردنا أن نأتي له بأمثال هذه المناظرات والمحاورات لاحتجنا إلىٰ مجلدات ضخمة علىٰ التأكيد، فإنّه كان رحمه الله مدرسة ممتدة الجوانب، مستطيلة الأركان، راسخة القواعد، قد ضمّ بين صدره مجموعة من العلوم فأفرغها بقوالب تخلب السمع وتستولي علىٰ الأفئدة[1].

توحيد الكلمة:

يرىٰ الإمام كاشف الغطاء أن الإسلام بُنيَ علىٰ دعامتين أساسيتين هما: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة[2].

وفي هذا الضوء، رأينا جهوده في إصطفاف مشرقٍ تجاه هاتين القاعدتين، فعمل جاهداً ليل نهار علىٰ إعلاء كلمة التوحيد في مؤلفاته وكتبه، وبحوثه وخطبه، بل وفي سيرته المثلىٰ، والقيم العليا المنطلقة ذاتياً من روح وثّابة تفاعلت مع الإسلام في جزئياته المتفرقة، وكلياته الثابتة وسيتجلىٰ التدليل علىٰ ذلك من خلال صحائفه النيرة ومواقفه الخالدة في هذا البحث إن شاء الله.

وأمّا توحيد الكلمة، فهو المهمّة الصعبة عند شعوب متخلفة فكرياً تتقاتل علىٰ إختلاف في مذهب فقهي، وتتسّاب وتتشاتم علىٰ عقيدة لا

---

(١) ظ: علي الخاقاني / شعراء الغري / ٦ - ١٠٤ - ١١٢.

(٢) الكلمة هذه يرددها كاشف الغطاء مراراً وسمعتها منه شفاهاً، وهي متوافرة النصّ في العديد من كتبه.

تفرض من الخارج ، وتتنازع وتتخاصم في عرض الديار الإسلامية وطولها ، في الفروع والأصول واحدة ، وقد يكفر بعض الطوائف بعضاً حتىٰ زماننا هذا دون حجّة أو برهان .

والأغرب من هذا أنّ كلّ طائفة تتهجم علىٰ الأخرىٰ بما يقول أعداؤها ، وهي لا تقرّ ما تتهم به ، إذ لا أصل له ، وطبيعي أن مؤجج هذه الفتن هو الاستعمار العالمي بأساليبه وطرقه الخاصّة ، والمسلمون في غياب عن الوعي والإدراك ، وفي فقدان للحاسّة المميزة بين ما هو دخيل علىٰ الإسلام ، وما هو من صميم رسالته ، ينعقون وراء كل ناعق ، وما علموا أنّ وراء هذا التخطيط تلك الأيدي الخفيّة التي تشلّ إرادة الشعوب .

إنّ أعرق الناس خيانة هو الذي يفرّق بين أبناء الشعب الواحد علىٰ أساس العرق أو المذهب أو الإنتماء القبلي أو الولاء للمدن والقرىٰ والقصبات ، ولكن هذا هو الواقع المفروض منذ رأينا الدنيا وحتّىٰ اليوم ، ولذلك فقد كانت رسالة الإمام كاشف الغطاء عسيرة للغاية في توحيد الكلمة ، ولكنّه ولله درّه ـ وقد سرنا علىٰ منهجه هذا بحول الله وقوته منذ شبابنا حتّىٰ المشيب ـ قد أفرغ لهذه القضية المركزية خلاصة تجاريبه البناءة ، وسخرّ لها عصارة آدابه ، وكبير معطياته المعرفية ، وتوَّجها برقيق عباراته النفاذّة في القلوب ، وعجيب محاوراته القائمة علىٰ أساس التقريب بين المذاهب والشعوب ، فهو مع ما قدّمه كلّه من الإنجازات واسع الصِلات مع زعماء الحياة العقلية للعرب والمسلمين ، وهو كثير السفر لحضور المؤتمرات الإسلامية ، وهو جريء الخطوات في ترسيخ عرىٰ الأخوة بين المسلمين ، لا تأخذه في هذا السبيل لومة لائم ، ولا تثنيه عقبات الطريق الشائكة .

إلتقىٰ الإمام كاشف الغطاء علماء مصر والشام والمغرب العربي وإيران والهند وباكستان ونجد والحجاز والخليج العربي، فأقام العلاقات الودّية والأخوية بين الجميع، وخفّف من النزعات اللاإنسانية، وعرّف الأمّة بحقيقة الإسلام، بعيداً عن المنحىٰ الطائفي والتعصب للعرق أو المذهب، وبذلك أوجد المناخ الإئتلافي بين مختلف طبقات الشعوب العليا من الأفذاذ والأكابر، بل هو يصرّ ويلحف في المواصلة والمبادرة والمناجاة في القول والعمل والرسائل والكتب وشتىٰ الأطاريح الأخرىٰ، ونماذج ذلك لا تعد ولا تحصىٰ، أكتفىٰ بإيراد نموذج علىٰ سبيل المثال، لتستدل بما أوردت لك علىٰ ما لم أورد من عشرات المبادرات الخيّرة.

كان الشيخ الإبراهيمي كبير علماء الإسلام في الجزائر المناضلة، وقد اجتمع به الإمام كاشف الغطاء عدّة مرات في عدة مؤتمرات، فأحبّ تجديد الصلة، فاستغلّ حلول عيد الفطر المبارك فأرسل إليه بالرسالة الهادفة التالية، وذلك قبل وفاته بأكثر من سنة قليلاً، وفيما يأتي أورد لك نصّ هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد

أخي العزيز أخي في الله داعية الحقّ وناصر الحقيقة ورافع راية الإسلام العلّامة الأستاذ الكبير محمّد البشير الإبراهيمي دامت بركاته.

سلام الله الأسنىٰ وتحياته المباركة الحسنىٰ، يحملها أثير الإخلاص المثار من حصباء النجف إلىٰ الجزائر ذات (البصائر)[1] عبر البحار علىٰ

---

(١) كان البشير الإبراهيمي يصدّر صحيفة البصائر في الجزائر لسان حال جمعية العلماء الجزائريين.

بريد الأشواق من العراق في الشرق الأدنىٰ إلىٰ المغرب الأقصىٰ، إلىٰ إخواني حملة مشاعل الدين، ومصابيح الهدىٰ، وأعلام المسلمين من هيئة العلماء وغيرهم.

أخي وردني كتابك العزيز مؤرخ ٣ شوال من بغداد، الكتاب الذي غفل فيه كاتبكم اللامع عن البداءة فيه بسم الله العظيم وكلّ أمر ذي بال لم يبدأ ببسم الله فهو أقطع، وهذه وإن كانت صغيرة قد لا تستحق الذكر، ولكن تسامحنا في الصغائر جرّنا إلىٰ إهمال الكبائر أو ارتكاب الكبائر (لا سمح الله)، وإنّي أشكر تهانيكم وأسأله تعالىٰ أن ينجح مساعيكم ويبارك في أيامكم ولياليكم ويجعله عيداً سعيداً لكم ولعموم المسلمين ولا سعادة لهم إلّا بالإتفاق وتوحيد الكلمة، ومن كلماتي المؤثرة ما قلته في مؤتمر فلسطين قبل أكثر من عشرين سنة، إنّ الإسلام بني علىٰ دعامتين كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

ولو أنّ المسلمين تدبّروا آية واحدة من كتاب الله العظيم وهي قوله تعالىٰ: ﴿**قُلْ هو القادرُ عَلَىٰ أن يَبْعَثَ عَليكُمْ عَذاباً مِنْ فَوقِكُمْ أو مِنْ تَحتِ أَرجلِكُمْ أو يُلبِسَكُمْ شِيعاً وَيُذيقَ بَعضَكُمْ بأسَ بعضٍ آنظرْ كيف يُصَرّفُ الآياتِ لَعَلَهُمْ يَفْقَهون**﴾[1]، لو تدبّروها لكفتهم حافزاً علىٰ جمع الكلمة وعدم التأثر بالخلافات المذهبية والنعرات الطائفية، أترىٰ يا أخي يأتي الله بيوم للمسلمين يجمع به كلمتهم ويحقق وحدتهم فيكون شيعة واحدة أو سنّة واحدة أو السنّة والشيعة متّفقة، ذاك ما أتمناه وما هو علىٰ الله بعزيز.

---

(١) سورة الأنعام ٦ : ٦٥.

إنشر عنّي هذا إن رأيت فيه خيراً للمسلمين ، إنشره في بصائركم النيّرة ، وبلّغ تسليماتي الصحيحة ودعواتي الصالحة المباركة إلىٰ كلّ فرد من جمعية العلماء عندكم وخاصّة كتّاب تلك الصحيفة الغراء ، شاكراً معروفهم باهدائها إلىٰ مكتبتنا العامّة في النجف الأشرف التي ينتهل من نميرها كلّ صادر وارد من عطاشىٰ الفضيلة ، وحياة العلم أرفع وأنفع من حياة الجسم ، نسأله تعالىٰ أن يمدكم بروح منه ويمنحكم وصحيفتكم عمراً طويلاً وعلماً غزيراً ونشاطاً وقوّة ، وهي تصلنا بحمد الله تباعاً ، فنجدها تمرة الغراب وتخفف عنّا لوعة البعد والأغتراب .

علىٰ أنّه إن كانت الأجسام قد بعدت ، فقلوب أهل العلم تأتلف ، ولرب مفترقين قد جمعت قلبيهما الأقلام والصحف .

عرفني وصولك بالسلام إلىٰ وطنك العزيز إن شاء الله ، ولا تقطع عنّي في البرهة بعد البرهة مراسلتك ، فالمراسلة كما يقولون نصف المواصلة ، وإذا كانت العبرة بالأرواح لا بالأشباح ، فهي كلّ المواصلة ، فاسلم للإسلام وللمسلمين ولأخيك .

المخلص

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

١٦ شوال ١٣٧٢

من مدرستنا العلمية بالنجف الأشرف

وأنت تلاحظ هدف هذه التحيّة في عمقها الرسالي ، ونقطة البدء الدلالي في دعوتها إلىٰ الوحدة والتفاهم ، ومشروعية إيحاءاتها الخارجية في المحبة واللقاء والودّ طبقاً لما جاء في القرآن العظيم :

﴿آدع إلىٰ سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنّة . . .﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنّه وليٌّ حميم﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم . . .﴾[٣].

وهكذا كان نهج كاشف الغطاء، دعوة إلىٰ التآخي وثورة علىٰ الفرقة، فإذا رأي الزيغ والإنحراف هجم عليه صامداً، وتولىٰ تقويمه ولو منفرداً، فقد خطب في الصحن الحيدري الشريف عام ١٩٣٠ م وحثّ المسلمين علىٰ نبذ الفرقة، واحتشام السلف، وإلغاء العادات التي من شأنّها تمزيق الشمل، ودعا إلىٰ رأب الصدع، وجمع الصفوف، وتوحيد العزمات، لردّ غائلة الاستعمار وكيده بدلاً من الإيغال بتقاليد منبوذة لا أوّل لها ولا آخر. واستجاب له العراق في ذلك كلّه.

وفي عام ١٩٣٢ م أثارة عبد الرزاق الحصان فتنة كبيرة في العراق بكتابه «العروبة في الميزان» تغنّىٰ فيه بأمجاد بني أُميّة، وتناول أهل البيت عليهم السلام بالسوء، فثارت العشائر في الفرات وهاجت القبائل في الجنوب، وأضربت الأسواق، وسارت المظاهرات.

وقد إستطاع الإمام كاشف الغطاء إخماد هذه الفتنة، فاتصل بالمسؤلين لإخمادها، وكان دور وزير المعارف المرحوم الأستاذ السيّد عبد المهدي المنتفكي مشرّفاً إذ حسم الموضوع بقدرته الإدارية، ففصل كلّ من

---

(١) سورة النحل ١٦ : ١٢٥.

(٢) سورة فصّلت ٤١ : ٣٤.

(٣) سورة الحجرات ٤٩ : ١٠.

عبد الرزاق الحصّان وأنيس النصولي من وزارة المعارف، وقد حيّاه شاعر العرب الأكبر الأستاذ محمّد مهدي الجواهري بقصيدة عصماء كان أوّلها:

حيّ الوزير وحيّ العلم والأدبا وحيٌّ من أنصف التأريخ والكتبا
وحيّها ضربةٌ للجهلِ قاصمةٌ محافلُ العلمِ قد ضجّت لها طربا

ومهما يكن من أمر، فلولا حصافة الإمام كاشف الغطاء وحسن تصرفه في الأمر، لسالت الدماء كلّ مسيل.

وفي الملحظ نفسه استطاع الإمام كاشف الغطاء إخماد الفتنة الطائفية في العراق عام ١٩٣٥ م على أثر الاضطراب السياسي في استقالة وزارة جميل المدفعي وتشكيل الوزارة من قبل الأستاذ ياسين الهاشمي[1]، فقد تنادت عشائر الفرات الأوسط بالثورة المسلحة على أساس المطالبة بحقوق الشيعة المضطهدة، وبتحريك سياسي متعمد توسعت الحركة بشكل أخذ ينذر بالخطر، فاستقالت وزارة وقامت أُخرى والناس في هياج.

وحينما رأى الإمام كاشف الغطاء ما وصلت إليه الحال في إثارة النعرات وسفك الدماء، واختلال النظام العام، تيقّن في قرارة نفسه أنّ هذه المناورات السياسية لا تخدم مصلحة العراق في حال من الأحوال، والجماهير تهتف باسمه في أهازيج شعبية كاد لهبها أن يستطير، روي لي منها:

---

(١) ياسين الهاشمي، من ألمع الشخصيات الوطنيّة في العراق آنذاك، استطاع الانتداب البريطاني ونوري السعيد طرده ونفيه من العراق إلى دمشق، فأقام فيها قليلاً في حزن وكمد وتوفّيَ في عام ١٩٣٦ م وهو لم يبلغ الخمسين من العمر، ولم توافق الحكومة العراقية على نقل جثمانه لبغداد، فدفن في قلعة دمشق قرب صلاح الدين الأيوبي ولا زال قبره قائماً وقد زرته في ١ / ٥ / ٢٠٠٢ لقرآة سورة الفاتحة، فأخذتني العبرة أن لا مكان للوطنية في العراق.

يا محمّد حسين العجل فتوىٰ الجهاد إفتيها

فجارىٰ الأمر بحنكة ورويّة، ولم يتخدع بالغلاف المبطن لتلك الشعارات، وتصرف في ضوء الميزان الواقعي في مراقبة الأحداث، فنادىٰ بالوحدة الوطنيه وجمع كلمة العراقيين علىٰ أساس الوطن الواحد للشعب الواحد، لا سيما وإنّ ياسين الهاشمي من الوطنيين البارزين وإن ثبت ذلك بعد حين. وإنّ جميلاً المدفعي من الإصلاحيين الذين يوفقون بين رغبة البلاط الملكي والسفارة البريطانية والشعب العراقي لا أكثر ولا أقل.

وفي هذا الضوء كانت مُشاركات الإمام كاشف الغطاء في الأزمات، وفاعليته في اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، فهو ابن البلد وأبوه، وهو من صميم الشعب العراقي وفي قيادته، وهذا هو شأن كلّ وطني غيور ومسلم أصيل.

في المؤتمرات الإسلامية :

وفي ضوء ما تقدّم كانت إستجابة الإمام كاشف الغطاء للمشاركة في المؤتمرات الإسلامية في فلسطين ومصر والشام وباكستان والهند، إذ هي جذوة من هذا القبس الوضاء.

وسألقي الضوء علىٰ جملة من المؤتمرات التي طبع الإمام أثره فيها باذن الله.

في عام ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م عقد المؤتمر الإسلامي العربي في القدس بفلسطين، ودعي إليه الإمام كاشف الغطاء، وبعد إصرار شديد ورسائل من الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين، وشخصيات فلسطين السياسية توجّه كاشف الغطاء في كانون الأوّل ١٩٣١ م إلىٰ القدّس

الشريف ؛ فقلّد زعامة المؤتمر وأجمع المؤتمرون على رئاسته له ، وأعضاء هذا المؤتمر الأساسيون من العالم العربي والإسلامي مائة وخمسون عضواً .

حضر الإمام المؤتمر وقدّمه المسلمون للصلاة إماماً في المسجد الأقصى وكان عدد المؤتمين به عشرين ألفاً ، والزمان هو ليلة الإسراء والمبعث النبوي الشريف ٢٧ / رجب / ١٣٥٠ ، والمكان هو المسجد الذي بارك الله حوله ، وألقى الإمام كاشف الغطاء خطبة مؤثرة خالدة ، تحدّث فيها عن أهمية المسجد الأقصى في القدس ، والقدس في فلسطين ، وفلسطين في البلاد العربية ، والخطبة مطبوعة في كراسٍ متداول ، وعاد الشيخ إلى النجف الأشرف ظافراً ، واستقبل بحماس بالغ ؛ جماهيرياً ورسمياً ، ووقف الشعراء والكتاب والعلماء يحيّون تلك الروح الوثّابة في الدفاع الوطني والديني عن الحقّ الشرعي للعرب والمسلمين ، وكان أبرزها قصيدة الشيخ محمّد علي اليعقوبي عميد جمعية الرابطة الأدبية في النجف (ت ١٩٦٥ م) وللأسف فإنّي لا استحضرها ، وأنا أكتب هذا البحث في دمشق الشام / السيّدة / وليس بين يدي ديوانه ، إلّا أنّ مطلعها :

حانَ نجاحُ الأملِ المنتظرْ ... في القدسِ حينَ إنعقدَ المؤتمرْ

وهناك قصيدة شعبية يتداول روايتها الناس حتّى اليوم وصاحبها الحاج الروازق ومطلعها :

شدّ زعيمْ إلنا ولكدْ واليومْ ردّ ... ردة (الكرّار) من (عمر بنْ ودّ)

والشاعر يريد أن يعبّر عن إنتصار الشيخ للقضية الفلسطينة وهو يعود إلى النجف بعد مغادرته لها بالتشبيه بإنتصار الإسلام على قريش حينما برز أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لفارس يليل عمرو بن ودّ العامري ، وقال النبي ﷺ : «**برز الإسلام كلّه إلى الشرك كلّه**» ، ورجوعه حاملاً رأس

عمرو ، وهو تشبيه بليغ مناسب للحال .

وأريد أن أحدثك عمّا شاهدّته ووعيته لدىٰ قدوم الشيخ من باكستان مع الوفد المرافق له ، وما جرىٰ في ذلك من مظاهر التكريم المتعدّدة .

المؤتمر الإسلامي في الباكستان :

أقيم مؤتمر إسلامي في الباكستان ، وقد دُعي الإمام كاشف الغطاء لحضوره فسافر إليه في ١٧ / ٢ / ١٩٥٢ = ١٣٧١ هـ ، وحينما حضره رشح لزعامة العالم الإسلامي روحياً ، وقلّد قلادة رئاسة المؤتمر ، وإءتمّ به المؤتمرون والحاضرون في صلاة الجماعة ، وأشير إليه فيه بأنّه أبزر علماء العالم في منتصف القرن العشرين .

أقيمت حفلة الإفتتاح ، فألقىٰ فيها الشيخ خطبة خالدة إمتدت ثلاث ساعات مرتجلاً ، تحدّث من خلالها عن مشكلات العرب والمسلمين ، والعروبة والإسلام عند الإمام كاشف الغطاء شبه مترادفين ، حينما لم تكن هنالك أيدلوجيات سياسية للتفريق بينهما في ضوء الفلسفات المعاصرة ـ ودعا إلىٰ وحدة الصف ووحدة الهدف ، والخطبة منشورة بكراس مستقلّ ضبطها أحد الحاضرين .

وحينما عاد الشيخ إلىٰ النجف إحتفلت به النجف الأشرف عشرة أيام في قاعة مدرسته العلمية ، وقد حضرتُ هذه المراسم ، وفي كلّ يوم تلقىٰ كلمات وقصائد ترحيبية وسياسية واجتماعية من قبل أبرز شعراء النجف ، وكانت قصيدة الشيخ عبد المنعم الفرطوسي رحمه الله من أروع الشعر وأفضل ، وحينما بدأ بألقاء قصيدته نهض الشيخ من مقعده ، ووقف علىٰ ضعفه وتداعىٰ هيكله متكأ علىٰ عصاه يستعيد ويستحسن ، وقاعة المدرسة

المكشوفة الواسعة تغصّ بفطاحل العلماء، وشخصيات العراق، وكوكبة من المثقفين وأدباء العصر، وحينما وصل الفرطوسي بقصيدته إلىٰ قوله:

تـــتلهف الدنـــيا عـــليك كأنّـــما هي قلبُ يعقوب وشخصُكَ يوسفُ

قال الإمام كاشف الغطاء مخبراً أو منشئاً: «أنت المتنبي».

فأجابه الفرطوسي فوراً: «سيدي المتنبي يـمدح سـيف الدولة وأنـا أمدح سيف الإسلام».

فضجت القاعة بالتصفيق الحادّ لهذا الجواب الرائع.

وكان سيدي الوالد رحمه الله قد عزف عن الشعر فلم يشـارك فـي تكريم الشيخ حتىٰ قاربت الأحتفالات نـهايتها، فأرسـل له الإمـام كـاشف الغطاء سكرتيره الخاص الشيخ عبد الغني الخضري ودخل فجأة ديواننا في محلّة العمارة في النجف الأشرف، وكنت مع أبي حاضراً، فاستقبله الوالد مرحباً، وقال: أبا طاهر (وهي كنية الخضري) هذا المجيء لا يـخلو مـن شيء.

قال: نعم أرسلني الشيخ، ويقول إحفظ صداقتي لوالدك، وصـحيح أنك من جماعة وأركان السيّد محسن الحكيم، ولكن السيّد لا يغضب إذ كرمتني بقصيدة، كلّ شعراء النجف شاركوا في تكريمي ما عداك.

قال الوالد: بلّغ سلامي لسماحة الشيخ وقل له سأنظم القصيدة، وكان الوقت ضيقاً، فنظم الوالد قصيدته وألقاها في ختام المهرجانات بعد يومين من التكليف، وكان سريع البديهية، يسترسل فـي النـظم بـقريحة مـتدفقة وحينما بدأ الوالد في الالقاء بالمطلع، نهض الشيخ وافقاً وهو يـتكأ عـلىٰ عصاه قائلاً: هذا شعر يقام له ولا يقعد.

واستمر بالإلقاء بين التصفيق والإعادة، حتىٰ إذا وصل بـالإنشاد إلىٰ

قوله:

وإذا آطـــلعت عـــلىٰ ولائـــي إنّـــه لك من «أبي» في الحبّ ما أنا أضمرُ
وعـــــلاقة الأبـــاء يـــحفظ حـــقّها عند البنين... وإن تخالفَ العنصرُ

نادىٰ الشيخ بصوته الرفيع «والحافظون قليلُ والحافظون قليلُ».

هذا ما علق بذهني من تعليقات الشيخ قدّس سرّه خلال إلقاء الفرطوسي والوالد.

وكانت قصيدة السيّد مصطفىٰ جمال الدين من الشعر الممتاز إلّا أنّه وجّهَ انتقاداً للشيخ لم يوافقه عليه أحد، إستطاع الوالد تسوية الموضوع في قصيدته كما سترىٰ.

وقد أجمعت المحافل الأدبية أنّ قصيدة الوالد وقصيدة الشيخ عبد المنعم الفرطوسي هما أشعر وأجود وأنصع ما قيل، وتليهما قصيدة السيّد مصطفىٰ جمال الدين.

وأنا فيما يلي أقدّم لك هاتين القصيدتين كاملتين وأضع أكثر قصيدة جمال الدين بين يديك، باستثناء ما لا أراه مناسباً في حقّ الإمام كاشف الغطاء وهو الجزء الضئيل من القصيدة:

* * *

[قصيدة الشيخ عبد المنعم الفرطوسي]

أبا الفضائل[1]

للـفتح آيـاتٌ بـوجهِكَ تُـعرفُ ... هَلْ أنّ طلعتَكَ السعيدةَ مصحفُ
شَعّتْ علىٰ قَسماتِ وجهِكَ مثلما ... شعت بقلبي من ولائِكَ أحرفُ
هـي أحرفٌ ذهبيّةٌ خطت علىٰ ... قـلبي وريشـتها فـمٌ مُـتَلَهفُ
أبصرتُ قلبي ظلمةً من يأسِهِ ... ورأيـتُها فـجرَ المنىٰ إذ يكشفُ
أجـللتُها مـن أن تَـمسّ قداسةً ... واسم (الحسين) مقدُّسٌ ومسرّفُ
فـغرستُها فـي تـربة أزكىٰ ثرىً ... في الطهر من قلب الوليد وانظفُ

* * *

ذِكـراكَ للارواحِ فـي خَـلواتِـها ... سـمرٌ يلذ به الحديثُ ويطرفُ
نـفحاتُ مسكٍ بـدؤُها وخـتامُها ... طـيبٌ بـها نـادي الفخار يعرَّفُ
وأرىٰ العواطفَ تنتشي من رشفِها ... فكأنّـما هـي للـعواطفِ قَـرْقَفُ
والقـلبُ يـمرحُ راقـصاً فكأنّـها ... وتـرٌ لَـهُ فـي كـلّ لَحنٍ يُـعْزَفُ
تـتلهفُ الدنـيا عـليكَ كأنّـما ... هي قلبُ يعقوبٍ وشخصُكَ يوسُفُ
وافـيتَ كـالأملِ اللـذيذِ لأنـفسٍ ... كادتْ عـليكَ مـن التلهّف تتلفُ
وهبطتَ في جرحىٰ القلوبِ مرفرفاً ... كالبرء حـين يـحسُّ فـيه المُـدْنَفُ
وطـلعتَ كـالفجرِ البـهيِّ بـطلعةٍ ... غرّا.. عروسُ الأُفقِ منها تُكْسَفُ
فَـمُكَ الضـحوكُ زجـاجةٌ دريّـةٌ ... فـيها وبسـمته شـعاعٌ يـخطفُ
وكأنّـها مـصباحُ قـدسٍ مشـرقٌ ... يـنشقُّ عـنه سـتارُ غـيٍّ أسـدفُ

---

(١) عبد المنعم الفرطوسي / ديوان الفرطوسي ٢ / ١٥٣ ـ ١٥٩ .

للحقّ من عينيكَ فيها منبعٌ ... والصدقُ من شَفَتَيكَ فيها يُقطَفُ
لو أنّها للدهر كانت طالعاً ... سَعُدَ الزمانُ فلا نحوسٌ تُعْرَفُ

❊ ❊ ❊

الافقُ وهو زجاجةٌ.. وشعاعُهُ ... كمدامةٍ منها النواظرُ تُرشَفُ
والشمسُ وهي عروسةٌ مجلوةٌ ... والنيراتُ بصفحتيها زُخرفُ
زرقاءُ صافيةُ الأديم كأنّها ... مرآةُ عذراءٍ بها تَتَشوفُ
لو أنّ غُرّتَكَ السعيدةَ أشرقتْ ... فيها ومبسمَك المباركَ يرصفُ
أغنتْ عن القمرينِ في إشراقها ... وتزّينتْ مِنها بما هو ألطفُ

❊ ❊ ❊

قلبٌ عليه جنىٰ الطموحُ فلو سما ... للأُفقِ قالَ الأُفقُ قَدرُكَ أشرفُ
وفمٌ يلذُّ حديثُهُ لطرافةٍ ... فيه وكلُّ حديثهِ مُستطرفُ
وشمائلٌ هي للربيع خمائلٌ ... حتّىٰ نسيمُ الفجر منها يَلطُفُ
شيخٌ نحيفُ الجسمِ من أتعابِهِ ... وهي الفضائلُ والفضائلُ تُنحِفُ
محدودبٌ حدباً عليها كلُّهُ ... عينٌ تذوبُ ومهجةٌ تتلهفُ
يضرىٰ فتهزأ بالفتوّة روحُهُ ... ويجلُّ عن ضم الشباب المِطرَفُ
ويخفُّ حين يهزُّه داعي الهدىٰ ... وهو الوقورُ ورأيه المُستحصفُ
ومن الذي يحمي شريعةَ (أحمدٍ) ... غير (الحسينِ) ومن بها يتكلّفُ

❊ ❊ ❊

أأبا الفضائلِ والفضائلُ بعضُها ... للبعض أُلّافٌ وأنت المألفُ
لك كلّ يومٍ نهضةٌ جبارةٌ ... منها ميادينُ المفاخِر ترجفُ
ومواقفٌ غراءُ في أجوائِها ... للآن أصداءُ الثنا بِكَ تَعصِفُ

ما غاب منها موقفٌ إلا بدا ... لك موقفٌ هو للجهادِ مشرّفُ
كسلاسلٍ ذهبيةٍ موصولةٍ ... بسلاسل احداثُها لا تُوصَفُ
المسجد الاقصىٰ يردد ذكرها ... والجامع الأموي فيها يَهتفُ

❊ ❊ ❊

لك رحلةٌ يكيفيك منها أنّها ... للمسلمينَ رعايةٌ وتعطّفُ
وعزيمةٌ للدهر لو حمّلتها ... لرأيت أنّ الدهرَ عنها يَضعُفُ
كالوتر لولا أنّها مشفوعةٌ ... برفيقِ صدقٍ نفسُه لك تَألَفُ
وسميرُ ذهنِكَ حينما تخلو له ... قلمٌ به سمرُ المعاني يظرفُ
قلمٌ اذا استمطرت طلّ بيانِهِ ... للغيث قال الغيثُ أنّك مُسرِفُ
يجري فتَلمَسُ في الطروس عزائمٌ ... فكأنّ روحَكَ في الطروسِ يرفرفُ
وتكاد تحترقُ الطروسُ إذا استقت ... منه المعارفَ وهو سيلٌ يجرِفُ
فكأنّ قلبك قوةٌ قد كهربت ... تلك الصحائف.. وهو سلك مرهفُ

❊ ❊ ❊

سَعُدَتْ بلادٌ جبتها، وتثقفت ... فيها عقول من هداك تُثقفُ
وتَشَرّفتْ أرضٌ وطأتَ صعيدَهَا ... والافقُ إذ تسعىٰ به يتشرفُ
وتطاولتْ شرفاتُ حفلٍ ودّ من ... حدبٍ عليك بأنّها تتعطفُ
زيّنتَ جلسته فأنت بصدرِهِ ... ملكٌ ومجلسُكَ المباركُ رفرفُ
وعلوتَ منبرَهَ فكبّرت السما ... والارضُ هذا المصلحُ المتصوّفُ
هوَ فيكَ مُؤتمرٌ وأنتَ أميرُهُ ... لو أنّ مقياسَ الفضيلةِ يُعرفُ

❊ ❊ ❊

المجلس الأعلىٰ المريع وكلّ ما ... فيه لناظره مريع مرجفُ
قد جُلّلت آفاقه في رَوعَةٍ ... غمرتَهُ حتىٰ سال منه الموقفُ
وعلا به صمتٌ رهيبٌ ما به ... همسٌ سوىٰ أنّ القلوب تُرفرفُ
من ذا أهاب به فلا متفوّهٌ ... فيه ولا عينٌ لعينٍ تطرفُ
المصلحُ الأعلى أطلّ بأفقِهِ ... متألقاً منه الجبين المشرفُ
والقائدُ العربيُّ سلّ فِرنده ... فغدتْ له تعنو الرقاب وتعطفُ
والصقرُ حلّقَ في الفضاءِ فمن به ... شبه البغاثِ من الرفيف تخوّفوا

* * *

إنّ الفصاحةَ دولةٌ جبارةٌ ... تهوي العروش ومجدها لا ينسفُ
أنت المليكُ المستقلُّ بعرشِها ... والنصرُ أكليلٌ عليك مرفرفُ
ونوافذُ الكلِم البليغِ أُجلّها ... من أن يقال لها سهامٌ ترهفُ
تُخطي السهام كما تُصيب وأنها ... أبداً تسددُ كلّ ما تستهدفُ
ولسانُكَ الجبّارُ لولا أنني ... ظلماً أجورُ عليه قلتُ المرهفُ
وإذا استطلتُ علىٰ يراعِكَ أُعفني ... قَصُرَ اللسانُ فقلتُ فيه مثقفُ
وعصاك آيتُكَ الكريمةُ في يدٍ ... بيضاءَ وهي لكلِّ سحرٍ تلقفُ

* * *

المجمع الديني وهو عناصر ... من وحدة دينية تتألفُ
حدِّث فدتْكَ النفسُ عن أهدافِهِ ... وعن الحقائقِ هل لها مستهدفُ
ما ذا به أهياكلٌ منحوتةٌ ... هي فيه كالآثار وهو المتحفُ
أم قادةٌ عظماءُ لا يغريهم ... جرسٌ يجلجلُ فيه طبلٌ أجوفُ

إنّـا لنـرجـو أن نـرىٰ ثـمراتِـهِ ... مـلموسةً عـمّا قـريب تُـقطفُ
ونـودّ أن البـذرَ تـغرسُهُ يـدٌ ... مـيمونةٌ تـحنو عـليه وتـعطفُ
هـي حـرةٌ فـيه وليس وراءهـا ... خـلفَ السـتار يـدٌ بـه تـتصرفُ

* * *

يـا قـادةَ الديـنِ الحـنيفِ تـطلعوا ... للأفـقِ إنّ الأفـق ليـلٌ أسـدفُ
وتـصفحوا فـيه ودلونـي عـلىٰ ... نـجمٍ له تـرنو العـيونُ وتـطرفُ
النشء روضٌ كـلّ حـين تَـقْطِفُ ... مـنه الحـوادث زهـرةً لا تُـخْلَفُ
النشء خـيرُ لآلئٍ ولأنـتمُ ... عـقد بـه تـلك اللآلئ تُـرصَفُ
ولأنـتمُ مـن قـبلُ نشءٌ فأحـمدوا ... ثـمراتِ غـرسٍ صـالحٍ وتشـوّفوا
هـو تـائهٌ بـحياتِهِ.. وحـياته ... ان قـلت أضـيعُ مـنه لا أتـطرفُ
كسـفينةٍ قـد أعـوزتْ ربّـانَها ... فغدتْ بها لُـجَجُ الحـوادثِ تَـقْذِفُ

* * *

إنّـا لنـبغي للـجهادِ قـيادَةَ ... يـرتاعُ مـنها المسـتبدُّ ويـرجـفُ
ونـريدُ أفـئدةً عـلىٰ أضـلاعها ... تـطغىٰ عـزائـمُها وحـيناً تـعصفُ
وأنـاملاً يـهوي عـلىٰ تـقبيلها ... فـي حـين تـلطمُهُ فـم مـتكلّفُ
ونـروم إصـلاحاً لانـظمةٍ بـها ... لَعِبَ الغريمُ وعاث فيها المُجحفُ
ونـريدُ أفكـاراً مـثقّفة بـها ... نسـمو ومـن عـرفانِها نَـتَثَقّفُ
وعـقائداً ديـنيةً مـيمونةً ... فـي النشء يـغرسها أبٌ متعطفُ
إنّـا لنـنشد مـصلحين نـفوسهم ... عن حمل ما قد حُمِّلوا لا تـضعفُ

النجف الأشرف **عبد المنعم الفرطوسي**

[قصيدة الشيخ علي الصغير][1]

الإمام كاشف الغطاء أو يوم الحسين

بـعلاكَ يُـفتتحُ الحـديثُ وينشرُ ... فكأنكَ التـــوحيدُ إذ يَـتكررُ
ولقد أفضتَ علىٰ العقول شعاعَها ... حـتىٰ كأنّكَ للـعقولِ المـجهرُ
وإذا تـحررتْ العـقولُ فـإنما ... بـهداك مـن ليـل العمىٰ تتحررُ
فكأنّ (أفـلاطون) يـلقي درسَـهُ ... فـيها و(سـقراطاً) يـعاد ويَـنشرُ
وتكادُ تشرقُ فـي النفوسِ لِعلمِها ... أن الهـدايـةَ فِـيكَ نـورٌ مسـفرُ
تـتساءل الأرواحُ عـنك لظـنّها ... أن المسـيحَ بسـفرِ روحِكَ يـظهرُ
لا تـعجبوا عـلماءُ أمـةَ أحـمدٍ ... كـالأنبياءِ لهـا المـحلُ الأطـهرُ

* * *

يـا مَشعَلَ الإصلاح أُسرِجَ زيتُه ... بـالعلمِ فـهو عـلىٰ البسـيطةِ نـيّرُ
وذبـالةٌ للـعلمِ أوقَـدَ نـورَها ... ـ كي نستضيء بها ـ النبيُّ وحيدرُ
مـيمونةُ الأنـوارِ لا شـرقيةٌ ... تـزهو ولا غـربيةٌ تـتنورُ
مشكـاتُها العـلمُ المُشـعُّ وزيـتُها ... ذهـنٌ زجـاجةُ فـضلِهِ لا تُكسـرُ
ويكـادُ يـوقدُ مـن سـناكَ فـإنّه ... من وحي قـلبِك يَستمدُّ ويُعصرُ
ويكـادُ يـلهبها السنا لو لم تكـن ... من فيضِ قدسك للـمواهب أبـحرُ
ويكـاد يـزبد طـامياً تـيارها ... لو لم يكـن ميناءُ فـضلكِ يُسفرُ

* * *

---

(١) الديوان المخطوط / في حوزة المؤلف .

عــفواً أبــا عــبدِ الحــليمِ فــإنّما هذي العواطفُ عن علائِكَ تَـقْصُرُ
فـلأنتَ ألهـمتَ العـواطِفَ وحـيَهَا سحراً فصاغ لكَ العواطفَ «عَبْقَرُ»
ولأنتَ صـوّرتَ الحـقائقَ فـانبرىٰ للــفنِّ «روفـائيلُ» فـيهِ يُـصَوّرُ
ولأنتَ ألهـبتَ الشـعورَ حـماسةً شــرراً.. أوارُ الشــعرِ فــيه يَسعَرُ
وإذا إدّعـيتُ فـللحديث شـواهـدٌ أن المــنابرَ فـي بـيانِك تُسـحَرُ
تَــتَفاخرُ الأعــوادُ فـيكَ فـتنثني طــرباً ويـرقصُ للـبيان المـنبرُ
ويكــادُ يـنطقه البـيان فسـحره نــادىٰ النـفوس: إليَّ هـذا الكـوثرُ
ويـقول لقّــن «جـبرئيل» رسـالةً باسمِ «الحسينِ» علىٰ الخلائقِ تنشرُ

❊ ❊ ❊

«يومَ الحسين» وللحسين مـواقـفٌ مـعروفةٌ فـي الديـنِ دوماً تُشكَـرُ
عــلمتنا سُــنَنَ الجـهادِ فـمِزَبرٌ بـصريره يسـطو، وسـيفٌ يُشـهَرُ
وكذا الجهادُ علىٰ العقولِ فريضةٌ وعــلىٰ النـفوسِ إذا تـراء المـنكرُ
والشرعُ حاميةُ الهـدىٰ.. وجـنودُها هذي العـمائمُ.. والسـلاح المـزبر
وإذا تــدار عــلىٰ المـفارِقِ إنّـها تــاجٌ يشع علىٰ الرؤوس ويـزهرُ
وتــلوحُ فـي رأس الحسـين كأنّـها قـطبٌ وهـذا الديـن مـنها المـحورُ
وكأنــما هـو فـي الشـريعة كـوكب للــفضل فــي أفـق الشــريعة نـيّرُ
أفــقاه إن زهت الســماء بــإفقها شرفاً «علي» ذو الجلال و«جعفر»[1]

❊ ❊ ❊

(١) الشيخ علي كاشف الغطاء صاحب كتاب «الحصون المنيعة» والد المحتفىٰ به والشيخ جعفر آل كاشف الغطاء جده الأعلىٰ صاحب كتاب «كشف الغطاء» وإليه تنسب الأسرة .

أرسالةَ الإسلام في عصرٍ به تتقاذف الشهواتُ والمستنكرُ[1]
ومبشرٌ في وحدةٍ دينيةٍ للدينِ فرّقَ شملَها المستعمرُ
ويكادُ في الإسلام يلعبُ دورَهُ أمرش يدبّرهُ الذين تَستَروا
وتكادُ تلعبُ في الشعوبِ سياسةٌ للأجنبيِّ على الشعوب تسيطرُ
وتهّبف عاصفةُ الشقاءِ وملؤُها مِحَنٌ تهددنا وأخرىٰ تُنذِرُ
وإذا بنهضتكِ المباركةِ التي عظمت فجاءتْ بالرجاءِ تُبشّرُ
تسمو علىٰ الإسلام رايةٌ عزّها شرفاً وفي ركب الشريعة تخطرُ
وتصيح في الإسلام يا أبناءَهُ هذا الحسينُ ونهجُهُ فتبصروا

* * *

مولاي هذا الفتحُ سفرٌ خالدٌ يبقىٰ علىٰ مرِّ الزمان ويُذكَرُ
وتباركُ الأعصارُ عصرِكَ هيبةً فيهِ وتحسدُهُ عليكَ الأعصرُ
فمنْ «ابن سينا» إذ يقام لأجلِهِ حفلٌ إلىٰ غرضٍ هناكَ يسيّرُ
لولا السياسةُ والحديثُ تهامسٌ وعلىٰ الحقيقة والعواطف مِحجَرُ
لشرحتُ أن الدارَ باسم دخيلِها تسعىٰ وإن غضب الذين تأمّروا
لو أنصفوكَ وأنت باني مجدَهُمْ عقدوا النجومَ عليك حفلاً يزهرُ
ويباركون الفتحَ باسمك مفرداً من دونه تقفُ الجموع وتقصرُ
ولأنت نعمَتهُمْ ودامَ لَكَ البقا حتىٰ إذا فُقِدَتْ هنالكَ تشكرُ
وكذلك عافية الصحيح إذا عرا سقم عليه فبأشتياقٍ تذكرُ
ومن الشقا أن البلادَ وأهلَها للمصلحينَ المخلصينَ تَنكرُ

---

(١) عبّر عن الإمام كاشف الغطاء بأنّه رسالة الإسلام لأنّها تتجسد فيه بكلّ أبعادها .

وكـــذاك شأنُ الرافـــدينِ وأهـــلِهِ أن المـــثقفَ وهـــو حـــيٌّ يـــقبرُ
فـــهنا يـــموت هـــنا النبوغُ وربـــما تـــتساءلون فـــذاكَ ســـرٌّ مـــضمرُ

❊ ❊ ❊

مـــرحاً أبـــا عـــبد الحـــليم فـــإنّما لك مـــن نـــواظرنا إحـــتفالٌ أزهـــرُ
وإذا اطـــلعت عـــلىٰ القـــلوب فـــإنّما لك في القلوب المـــهرجـــانُ الأكـــبرُ
وتكـــاد إن لمست يـــداك صـــدورَنا إن الصـــــدورَ بـــما تكـــنّ تـــعبرُ
وإذا اطـــلعت عـــلىٰ ولائـــي إنّـــه لك من «أبي» في الحب ما أنا أضمرُ
وعـــــلاقة الأبـــناء يـــحفظ حـــقّها عـــند البـــنين وإن تـــخالف عـــنصرُ
فـــإذا عـــتبت وللـــعتاب حـــقوقه يـــوماً عـــليك فـــربما أنـــا أعـــذرُ
ويـــــلذ عـــتبى المســـتهام إذا رأىٰ أحـــــبابه فـــــي الود لم يـــتغيروا
هـــذا الغـــري وأنت مـــصلح أمـــة فـــاصلحه كـــي يـــزكو وكـــيما يـــثمرُ
أتـــمر فـــيه الحـــادثات ولم يكـــن أحـــــد يـــقاومها وعـــينك تـــنظرُ
ويـــقال «رجـــعي» لنـــاشيء عـــلمه والعـــــلم فـــــيه تـــجدد وتـــحررُ
وتـــرىٰ العـــمائم والجـــلال يـــحوطها رهـــن الشـــقا بـــين الجـــموع تـــحقّرُ
فابعث من الإصلاح فكـــرة مـــصلح يـــقض المشـــاعر بـــالأمور يـــفكر
وانهض فناشئة الشبيبة في الحـــمىٰ جـــيش بأســـلحة العـــلوم مـــظفر

❊ ❊ ❊

إخـــوانـــي الأدبـــاء شكـــراً وافـــراً لَكـــمُ فـــفضل شـــعورِكُم لا يـــنكرُ
فـــخيالُكُمْ خـــصبُ الشـــعورِ وإنـــنا فـــي حـــالةٍ مـــن أجـــلِها نَـــتأَخرُ
فدعوا الخيالَ وعـــالجوا أوضـــاعَكَمْ بـــحقائقٍ فـــيها نـــحسُّ ونشـــعرُ
ليس المـــثقفُ مـــن يـــجيدُ قـــصيدةً جـــوفاء فـــي مـــدحِ هـــنالك تـــحصرُ

فأبـو الحـليم إذا نـظمت بـمدحِهِ ... زهـرَ النـجومِ فـعنْ عـلاهُ أقـصّرُ
إن المـــثقفَ مـــن يُـعالجُ أمـةً ... مـــما تكـــابده ومـــنه تـضجرُ
ودعوا عواطفكم يـجيش شـعورها ... نـحو الحـقائِق فـالصباحُ سيسفرُ
وتـرون أفـئدةً يـحزّ بـها الأسـىٰ ... ظـــلماً وأذهـانُ الشـباب تـحيّرُ
وبـــمثلِ هـذا الاحـتفالِ وشـبهِهِ ... يـــوماً يـعالجُ وضـعنا المـتقهقرُ
وإذا الثـــقافةُ كـــان فـيها مـوردٌ ... للشـعر فـهي إلىٰ الحـقائق مـصدرُ
وإذا تأخـــرت البـــلاد ثـــقافةً ... فـــاعلم بأنّ أديـــبَها مـــتأخرُ

* * *

مرحاً «جـمالَ الديـنِ» خـيرُ تـحيّة ... تهدىٰ فروحُك بالفضيلة تُـصهرُ[1]
أتروم تـغييرَ المـناهجِ فـي الحِـمىٰ ... وعلىٰ الحـمىٰ مـن سـاكـنيه تَـبَعثُرُ
فـعلىٰ الشـيوخِ مـن المـهابةِ روعـةٌ ... وعـلىٰ الشـباب النـابغينَ تَـحَررُ
وكـلاهما مـن غـيرِ تـوجيهٍ إلىٰ ... غـــاياته يسـعىٰ !! لذاك يـؤخَرُ
فاغرس مـن الأدبِ الرفـيع بـذورَهُ ... فبسعي لطفِ «أبي الحليم» سـيثمرُ
سـيريك أن البـذرَ يـبسم زهـرُهُ ... لطـفاً.. وأفـقُ الحـقلِ فـيه مـعطّرُ
ويريك في النـجف الأغـر جـهودَهَ ... جـــبارةً للـــدهر فـــينا تُشكـرُ
فـهو المـجرّبُ للأمـورِ.. وقـائدٌ ... نحو المُـنىٰ.. وهـو الإمـامُ الأكـبرُ

النجف الأشرف — **علي الصغير**

---

(١) المراد به الدكتور مصطفىٰ جمال الدين لمّا تحدث به في قصيدته بتكريم الإمام كاشف الغطاء ، وما أثارت من تساؤلات ، فأراد الشاعر تسوية الأمر ، لأنّ جمال الدين محسوبٌ علىٰ مدرسته .

[قصيدة للشاعر الراحل مصطفىٰ جمال الدين ألقاها بعد عودة الشيخ كاشف الغطاء من مؤتمر باكستان][1]

زهـــا فـحلّقَ وجـهٌ مـنكَ مُـبتَشِرُ
يَـــوَدُّ لو يَـــتَبنّىٰ نُـــورَهُ القَـــمَرُ

مـا قِيمةُ البدرِ، يُخفىٰ نُورَ طَلعتِهِ
صُبحُ.. ويُبدي عليه الرَونقَ السَحَرُ؟!

والنجمُ.. هل هو إلّا طَرفُ ساهرةٍ
أذابَ فيه إحمرارَ المُقلةِ السَهَرُ؟!

والشمسُ.. يُفزِعُها عَصفُ الرِياحِ فإن
تَنفَّسَ الجوُّ أخفىٰ لَونَها الكَدَرُ!

والصبحُ ثَوبٌ جميلٌ الوَشْيِ تَلْبَسُهُ
لكنَّه من فُجاءاتِ الدجىٰ كَدِرُ!

... وهكذا.. كانَ بينَ الناسِ مؤتمرٌ
وكان في طَبَقاتِ الجوِّ مؤتمرُ

تَسابقا.. وقُصارىٰ الغايتين إلىٰ
مِشكاةِ عَدلٍ بنور العِلم تَزْدَهرُ

الحمدُ للهِ.. نجمٌ مِن أئمتِنا
تَنافَسَتْ في عُلاهُ الشُهبُ والبشرُ

* * *

---

(١) الديوان / ٣٥٥ / دار المؤرخ العربي / بيروت / ١٩٩٥ م.

يا صاعداً في «بُراقٍ»[1] مِن عزيمتهِ
كانتْ «بساطَ سليمانٍ» لها الفِكَرُ

تَفجَّرَ الشِعرُ مِن حولي وجُنَّ علىٰ
أنغامِهِ المُسكرانِ: العودُ والوَتَرُ

ماذا أقول؟! وأنتَ المجدُ تَلبَسُهُ
مَنْ راحَ يَخْلَقُ منها المِطرَفُ العَطِرُ

والفجرُ.. فاضَ علىٰ الوادي ببهجتِه
فاستقبلته طيور الأيْكِ تَبتَشرُ

والسَيلُ.. يَغمرُهُ خِصباً، ويُمرِعُه
قاعاً، فَيحفَلُ منه المَهمَهُ الصَفِرُ

والبحرُ ما قَصَدتْهُ السحبُ ظامئةً
إلّا ليُحمَدَ منها الوِردُ والصَدَرُ

طغىٰ فما وَقَفَتْ في وَجهه حِيَلٌ
حتّىٰ ازدهتْ بلئالي مَدّهِ (الجزُرُ)

* * *

حَدِّثْ أبا الكَلِمِ الزاهي فقد ظَمئَتْ
آذانُها لحديثٍ مِنكَ يَنفجِرُ

هل حَقَّقَ (الوَحدَةُ) المرهوبَ جانِبُها
ـ بين الطوائف ـ للإسلامِ مُؤتمرُ ؟ !

---

(١) البُراق: اسم فرس لرسول الله ﷺ قيل إنّه الذي أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ، والاستعارة هنا واضحة.

لا طـــائفيةَ تَـــرمي المســـلمين بـــها
(يـــدٌ) تـــطايرَ مِـن أظـفارها الشـــرر
ولا تَـــطرُّفَ فـــي (قـوميّةٍ) غَـرَس الـ
ـتفريقَ فينا.. فبئسَ الغَرسُ والثَـمَرُ!!
هـــذا (مـــحمّدٌ) فَـخرُ العُـربِ قـاطِبةً
ما كان يَمتازُ عـن (سَـلمانهِ) (عُـمَرُ)
وذا (أبـــو حَـــفْص) قَـــد أولاهُ إمـرَتَهُ
عـلىٰ «المـدائـنِ»[1] لا راجٍ ولا حَـذِرُ
وهكـــذا ظَـــلّ جـيشُ الديـن مُـزْدَهراً
أنّـــىٰ سـريغ فـاحَ مـن أعـطافِه الظَـفَرُ
مشىٰ علىٰ الغرب مَشْيَ الفاتحين فـلم
يَـرتدّ حـــتّىٰ تـجلّىٰ البـحرُ يَـعتَذِرُ
وَشـــاقَهُ أنْ يـــؤمَّ «الصـــينَ» جـحفلُهُ
فـــما تـــعذّرهُ جُـــبنٌ ولا خَـــورُ

* * *

(١) كان سلمان الفارسي والياً لعمر بن الخطّاب علىٰ المدائن بالعراق.

جهاد الشيخ كاشف الغطاء :

صحب الإمام كاشف الغطاء الحياة السياسية في العراق منذ إستجابته لنداء القائد المجاهد محمّد سعيد الحبوبي (ت ١٣٣٣ هـ) الذي إتّجه لمحاربة الإنكليز في الشعيبة ، وتبعه محوران آخران ، إتجه أحدهما للأهوار والأهواز والحويزة ، والثاني إتّجه نحو الكوت والمدائن وهو الذي إلتحق بقيادته كاشف الغطاء حينما أوفده أستاذه المرجع الأعلىٰ السيّد محمّد كاظم اليزدي (ت ١٣٣٧ هـ) مع ولده السيّد محمّد طباطبائي اليزدي (ت ١٣٣٤ هـ)[1] ملتحقاً بركب شيخ الشريعة الأصفهاني (قائد ثورة العشرين بعد وفاه الشيخ محمّد تقي الشيرازي) والسيّد علي الداماد والسيّد مصطفىٰ الكاشاني وسواهم من المجاهدين ، ونزلوا في بغداد ضيوفاً عند الحاج داود أبي التمن ، ثمّ يمموا شطر المدائن وكوت الإمارة كما سترىٰ فيما بعد .

وبعد النكبة الكبرىٰ بفشل المجابهة ، وإنسحاب السيّد الحبوبي إلىٰ الناصرية ، وخيانة جملة من زعماء العشائر ، وموت السيّد الحبوبي حزناً وأسفاً ، عاد إلىٰ النجف الأشرف مكّباً علىٰ التحصيل ، شأنه بعد ذلك شأن الإمام الحكيم قدّس سرّه الذي كان قد صحب الحبوبي مؤتمناً علىٰ بيت المال ، ولم يشارك كاشف الغطاء بثورة النجف علىٰ الإنكليز في ١٩/مارت/١٩١٨ م بإعتبارها لحقت قبيل آوانها دون العدّة الكافية ، بل

---

(١) هو النجل الأكبر للسيّد اليزدي قدّس سرّه وكان من المجتهدين العظام ، وتوفّي في طريق عودته من الجهاد في الكاظمية المقدّسة في ١٢/٥/١٣٣٤ هـ كمداً وحزناً علىٰ ما أصاب المجاهدين ، ونقل إلىٰ النجف ، ودفن في مقبرة الإيوان الواقع علىٰ يمين الداخل إلىٰ الصحن ، والتي دفن فيها السيّد والده فيما بعد .

ويعتبرها من الحركات الطائشة ، وكان يصدر في هذا عن رأي أستاذه المرجع الأعلىٰ السيّد محمّد كاظم اليزدي[1] وكانت ثورة العشرين قد قامت في ٣٠ / حزيران / ١٩٢٠ م = شوال / ١٣٣٨ هـ ، وتوفي قائدها الشيخ محمّد تقي الشيرازي الحائري في ٣ ذي الحجّة / ١٣٣٨ هـ أي بعد الثورة بثلاثة شهور ، ولم يشارك فيها الإمام كاشف الغطاء والإمام السيّد

---

(١) السيّد محمّد كاظم بن السيّد عبد العظيم الطباطبائي اليزدي (ت ١٣٣٧ هـ = ١٩١٩ م) من أبرز مراجع التقليد في عصره ، وانتهت إليه الزعامة الدينية العليا في النجف الأشرف ، إتّهمته الأقلام المأجورة والكتب المغفّلة بأنّه قد مالأ الإنكليز ، ولم يقف إلىٰ جنب الثوار ، والحقيقة أنّه قد أدرك أنّ مقاومة الإنكليز بهذا الشكل شرّها أكثر من عائديتها ، وأنّ البلد قد تسلمته يد الفوضىٰ ، فوقف الموقف الإصلاحي المتحفظ ، فهو يرعىٰ شؤون الثائرين والنجف والمحافظة عليهما ، وهو لا يعطي من نفسه للإنكليز قيد شعرة قطّ ، بل تصرف تصرف الحكيم المتزن ، وقد عوّضه الله تعالىٰ عن هذا التطاول عليه بأن جعل كتابه «العروة الوثقىٰ» خالداً ، وبقيت فروعه مدار التدريس في البحث الفقهي الاستدلالي ، ولعلّ أبرز ما شرح به استدلالياً واستنباطياً «مستمسك العروة الوثقىٰ» للإمام الحكيم قدّس سرّه ، و «مستند العروة الوثقىٰ» و «معتمد العروة الوثقىٰ» و «التنقيح علىٰ العروة الوثقىٰ» و «مباني العروة الوثقىٰ» وهي جميعها من تقريرات سيّدنا الأستاذ الإمام الخوئي قدّس سرّه ، وهي بحسب تسلسلها بأقلام :

١ ـ الشيخ مرتضىٰ البروجردي قدّس سرّه .
٢ ـ السيّد رضا الخلخالي رحمه الله .
٣ ـ الشيخ ميرزا علي الغروي أعلىٰ الله مقامه .
٤ ـ السيّد محمّد تقي الخوئي رضوان الله عليه .

أمّا الحواشي علىٰ العروة الوثقىٰ ، فقد رأيت منها :

١ ـ حواشي العروة الوثقىٰ : الشيخ محمّد رضا آل ياسين قدّس سرّه .
٢ ـ التعليق علىٰ العروة الوثقىٰ : السيّد محمّد الحسني البغدادي قدّس سرّه .
٣ ـ العروة الوثقىٰ : تعليق السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي قدّس سرّه .
٤ ـ العروة الوثقىٰ : تلعيق السيّد علي الحسيني السيستاني دام ظلّه العالي .

وسوىٰ ذلك ، وسيمر عليك تنزيه اليزدي عند ذكر كاشف الغطاء له .

محسن الحكيم لأعتبارات سياسية ذكيّة ، فهي بعد لم تنضج فكرتها ، وكلّ منهما غير واثق بنتائجها ، ويعلمان مدىٰ قوة الإنكليز ، وأنّها ستنتهي بحكم ـ علىٰ فرض نجاحها ـ ظاهره الوطنية المغلّفة ، وواقعه الاستعمار الإنكليزي .

وكاشف الغطاء بخاصة مطلع علىٰ «دسائس الإنكليز ، وإيصالهم (أبو الخيّال)[١] إلىٰ جيوب بعض الزعماء من رؤساء القبائل بتوسط الخائِنين بل رأس الخونة في الكويت والمحمّرة ، خصوصاً بعض رؤساء العمارة المتصلين بهم صلة الجوار والصداقة»[٢] .

وهنا ينبغي أن نشير أن كاشف الغطاء من الأبطال في حرب الإنكليز بجبهة الكوت ، وفي معركة المدائن الكبرىٰ ضد البريطانيين ومعه الأعلام والضباط من العراقيين والأتراك ، وفي طليعتهم الشيخ محمّد رضا الشبيبي (ت ١٩٦٥ م) ، والذي صوّر أبعاد المعركة وهزيمة الإنكليز بقصيدته التي مطلعها[٣] :

أعالمٌ بالذي وافت مدائِنَهُ كسرىٰ وأيوانُهُ المعقودُ والسورُ

وكان قائد الحملة للجيش العثماني والمجاهدين العراقيين الفريق

---

(١) تعبير بالكناية عن الليرات الذهبية والباونات التي أرشىٰ بها الإنكليز الزعماء والعملاء من شيوخ العشائر والقبائل .

(٢) ظ : الإمام كاشف الغطاء / عقود من حياتي / ٣٨٧ / ضمن كتاب النجف الأشرف وحركة الجهاد / تحقيق كامل سلمان الجبوري / مؤسسة المعارف للمطبوعات / بيروت / ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠٢ م .

(٣) ظ : محمّد رضا الشبيبي / ديوان الشبيبي / مطبعة لجنة دار النشر والتأليف والترجمة / إصدار جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف / ط : القاهرة / ١٩٤٠ م .

محمّد فضال باشا الداغستاني[١] وقائد الجيش البريطاني (طاوسند).

وقد تلا دعاء النصر للمجاهدين الشيخ جواد صاحب الجواهر لدىٰ إستقلالهم الباخرة التي أقلّتهم للجهاد.

يقول كاشف الغطاء في مذكراته:

«صعدنا سطح الباخرة حيث العَلَم الحيدري هناك مركوز في صدرها، فتناوله (القائد) وقبّله، وتبرّكَ به، وهكذا سائر أركان الحرب، وتلا الشيخ جواد الجواهري دعاءً لنصر الإسلام، وخذلان أعدائهم، واستمداد المعونة والتوفيق من الله جلّ شأنه، وبروحانية النبيّ والوصيّ تقدّم حامل العلم حتىٰ خرج الجميع من الباخرة»[٢].

ولدىٰ انتصار جيش المسلمين علىٰ الإنكليز في المعركة، قال الإمام كاشف الغطاء للفريق الداغستاني ما نصّه:

«فقلت له في غضون الحديث إنّي أحمل تبليغاً إلىٰ عامّة المسلمين في الممالك المحروسة بأمرين:

أحدهما: قوّة الجند الإسلامي، وعجيب تدابيرك في الفنون الحربية التي توجب الثقة بالفتح إن شاء الله.

والثاني: سعة أخلاقك وكرم طباعك التي تجذب كلّ قلب إلىٰ الإخلاص لك والركون إلىٰ الطاعة[٣].

---

(١) والد الفريق غازي الداغستاني قائد الفرقة الثانية في الجيش العراقي والذي ظنّ نوري السعيد لدىٰ سماعه نبأ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م بأنّه قائد الإنقلاب، وقال وهو مختبئ بدار الحاج محمود الاسترابادي «سويته يا ابن محمّد فاضل».

(٢) ظ: كامل سلمان الجبوري / مذكرات كاشف الغطاء / ٣٨٠.

(٣) كان الفريق محمّد فاضل هذا لدىٰ دخول الإنكليز البصرة، قد سافر إلىٰ النجف

فقال: هذا من حسن التفاتك، وأرجو أن أكون كما تظنّ»[١].

أمّا عدم مشاركة كاشف الغطاء في ثورة النجف، فهو يتحدّث عنها بمرارة وألم ويعتبرها قد ساعدت على تسلّم الإنكليز لزمام المبادرة، لأنّها ـ من خلال نظره ـ حركة فاشلة دون قيادة حكيمة، بل قد استعجلها الحاج نجم البقال، بطلّ الهجوم على الحاكم البريطاني (الكابتن مارشال)[٢].

وهو يصف ذلك اليوم بنفسه فيقول: وفي ذلك اليوم حاصرت الجنود الإنكليزية (النجف) وعملوا حولها الإسلاك الشائكة ومنعوا عن الأهليين حتّى دخول الماء، فحاربهم من وراء السور رؤساء الأطراف الأربعة[٣] ورؤوس هذه المقاومة كان الحاج سعد وأولاده، وكاظم صبّي وعباس علي رماحي، وجماعة آخرون.

أمّا السيّد مهدي السيّد سلمان رئيس الزقرت فكان قد إغترّبهم ـ يعني الإنكليز ـ ويتظاهر بالحياد ويراود السلطة سراً.

الأشرف، وحلّ ضيفاً على الوجيه الكبير الحاج عبد الرزاق شمسة رئيس بلدية النجف، واتصل عن طريقه بكافة العلماء الأعلام: كاشف الغطاء / بحر العلوم / الجواهري وسواهم لتحريض الناس على الجهاد بقيادتهم، فكان له ما أراد.

(١) كامل سلمان الجبوري / مذكرات كاشف الغطاء / ٣٨٣.

(٢) مستشرق إنكليزي شاب يحسن اللغة العربية، أراد السفر إلى لندن لغرض الزواج، ولكن الإدارة البريطانية عيّنته حاكماً للنجف في ١/شباط/ ١٩١٨، فطمح لذلك، وترك السفر، فقتله الحاج نجم البقّال والثائرون في ١٩/مارت/١٩١٨ في مقر الحكومة البريطانية (خان عطية أبو كلل) فبدأ حصار النجف الأشرف وإعدام الثوار وسواهم وتسفير أكثر من مئة إلى الهند.

(٣) النجف لها أطراف أربعة وهي محلاتها الرئيسية آنذاك: العمارة ورئيسها الحاج عطية أبو كلل، والحويش ورئيسها السيّد مهدي السيّد سلمان، والمشراق ورئيسها الحاج سعد الحاج راضي، والبراق ورئيسها الحاج كاظم صبي، وكلّ المحلات مع الثورة إلّا محلّة الحويش فمع الإنكليز برئيسها واتباعه.

واستمر الحصار أربعين يوماً، وصار شرب أكثر أهالي النجف من ماء الأبار المالحة، وشحّت الأطعمة حتّىٰ بلغت حقّه النجف من عشر روبيات، وبهذا المقياس ساير الضروريات من اللّحوم والأدهان.

وبعد اسبوعين تقريباً من بدأ الحصار زحفت الجنود إلىٰ قرب سور البلد لضعف الحامية ونفاذ ذخيرتها، ثمّ احتلوا جبل الحويش المطلّ علىٰ النجف ونصبوا المدافع عليه، وأنذروا المحاربين بالتسليم أو الضرب، وانتظروا مدّة عشرين يوماً يحاذرون من ضرب النجف، واتساع لهيب الثورة، وهياج العشاير سيّما وفي النجف المرجع العام لكافّة الأقطار وهو سيدّنا الأستاذ السيّد محمّد كاظم اليزدي، وكانت البرقيات تنهال علىٰ قائد تلك الحملة من الهند وإيران والأفغان.

وكانت سياسة بريطانية تحتّم عليهم مداراته وجلب مراضيه، فكانوا كلّ يوم صباحاً ومساءً يرسلون الرسل إليه بشتىٰ الوسائل، أن يخرج معززاً إلىٰ شريعة الكوفة إلىٰ أن تنتهي القضيّة، والتمسوا منّا ذلك أيضاً فأبينا، وقلنا نحن مع أبناء وطننا إن عاشوا عشنا معهم، وإن هلكوا هلكنا معهم، وكان الإنكليز يلتمسون أن يقبل ما يرسلون من الماء والأطعمه واللحوم وغيرها، فيأبىٰ أشدّ الإباء، وبعد أن ضاق الخناق، واشتدّ بلاء الغلاء، وشحّت الأقوات علىٰ الآهليين، تدخّل السيّد مهدي السيّد سلمان في القضيّة وفتح باب البلد من ناحية جبل الحويش، وبقيَ الحصار مستمراً، إلّا من هذا الباب يدخل منه الماء وبعض ضروريات العيش، وأصرّ الإنكليز علىٰ أن يسلّم أهالي البلد المحاربين وقاتلي (مرشال) وكانوا قد لاذوا بالفرار والتخفي في سراديب البلد ومخابيها، حيث لم يجدوا وسيلة إلىٰ الفرار إلىٰ خارج البلد لشدّة الحصار، فرّ السيّد مهدي مع جماعة من

الزقرت والشمرت الذين لم يشتركوا في تلك الأعمال الطايشة، وصاروا مع جماعة من العسكر البريطاني يفتشون البيوت ويقبضون علىٰ واحد بعد واحد، حتّىٰ لمن يفلت منهم أحداً، وبلغ عدد المقبوضين أكثر من مائة وخمسين، وساقوهم إلىٰ الديوان العرفي الذي عقدوه في الجسر، وكلّ أعضائه من قوّاد الإنكليز، فحكموا علىٰ بضعة عشر نفر بالشنق، وعلىٰ جماعة بالتسفير إلىٰ هنجام وسمربور.

وانتهىٰ الحصار، ولكن صاروا يفتشون كلّ من يخرج من النجف سيما من المعممين خوفاً أن يكون معه كتب الدعوات لتحريض العشائر علىٰ الثورة والانتقام للنجفيين من الدولة المحتلّة، فكان ممن وجدوا معه شيئاً من هذا القبيل الشيخ أحمد أحد أولاد المرحوم الأستاذ محمّد كاظم الخراساني، فأخذوه إلىٰ الجسر وحاكموه في جلسة أو جلستين، وأوشكوا أن يحكموا عليه بالإعدام، فتوسطنا إلىٰ قائد الحملة بلفور وبلغّناه أيضاً شفاعة السيّد فيه، فلم يجد بُدّاً من اطلاقه، ولولا ذلك لكان من المشنوقين[1].

المناخ السياسي في العراق:

إجتاحت العراق موجات من الغضب السياسي أدىٰ إلىٰ اعلان الأحكام العرفية، وتعطيل الدستور في كثير من الأبعاد، وكان أوسع هذه الموجات اضطراباً لدىٰ تشكيل مصطفىٰ العمري لوزارته، فقد اختلّ الأمن، وإحتدمت المظاهرات الصاخبة، وطالب الشعب بحس وطني إسقاط وزارته

---

(١) كامل سلمان الجبوري / مذكرات كاشف الغطاء / ضمن النجف الأشرف وحركة الجهاد / ٣٨٩ ـ ٣٩١.

وإجراء الانتخابات الحرّة وكان ذلك في تشرين الثاني سنة ١٩٥٢ ميلادي، وسقطت الوزارة وقامت أُخرىٰ برئاسة اللواء نور الدين محمود رئيس أركان الجيش العراقي، فزاد ذلك في الطين بلّة كما يقولون، وعمّت المظاهرات الفرات الأوسط، وتركّزت في بغداد وكربلاء والنجف، حتّىٰ تأزم الوضع في النجف واحتلّ احتلالاً عسكرياً، وكانت اللحظات حاسمةً تنذر بالخطر، حذرَ الإشتباك الدموي بين الجيش والشعب، وسمعنا حينها إنّ الجيش أمرَ بتنفيذ الهجوم المسلّح علىٰ الأهالي، إلّا أنّ أحد قواده في النجف، إمتنع عن التنفيذ وهو المقدّم عبد الوهاب الشواف (قائد حركة الموصل ضدّ عبد الكريم عام ١٩٥٩ م)[1] وأبىٰ أن تضرب النجف الأشرف برصاصة واحدة والأحكام العرفيه قائمة علىٰ قدم وساق، بينما أراد غيره من الضباط إقتحام النجف واطلاق الرصاص علىٰ المتظاهرين عشوائياً، فاستغاث الناس بالإمام كاشف الغطاء لتدارك الحال، وكانت الأسواق مغلقة طيلة عشرة أيام، وامتنع أغلب رجال الدين من التدريس، واتّصل الإمام الحكيم قدّس سرّه بالمسؤلين بغية تفادي الخطر، وأصدر الإمام كاشف الغطاء بياناً منع فيه الطيش وانتهاك الحرمات، وحرّمة اشتباك الأهالي مع الجيش في معركه خاسرة، ضحاياها أبناء الشعب العراقي، وأذيع البيان علىٰ المنابر والمنائر، وهو يطلب الإخلاد إلىٰ السكنية، وممارسة الأعمال الاعتيادية، والعودة إلى الوعي السياسي بالمطالبة السلمية للحقوق، وإنهاء حالة الإضطراب، وكان لهذا البيان أثره حينما طبع ووزع علىٰ الناس، حقنت فيه الدماء وسدت

---

(١) قاد حركة مسلحة في الموصل وأذاع بيان الثورة، وكانت شرارة انتهت بقتله، وإعدام ضباطه في أم الطبول مع ألمع ضابطين عراقيين هما الزعيم الركن ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية، والعقيد رفعت الحاج سري مؤسس كلية الضباط الأحرار. (م)

الثغرات بين الجيش والشعب، بعد أن كان شرّها مستطيراً، وقد أيّده في هذا النحو المراجع العظام والعلماء الأعلام، لأنّ انتهاك حرمة النجف تعدّ انتهاكاً للإسلام شاء الحاكمون ذلك أم أبوا.

وفي هذه الأثناء جرت للإمام كاشف محاورات سياسية كان أبرزها:

المحاورة مع السفيرين الأمريكي والبريطاني، فقد قام السفير الأمريكي بزيارة للإمام كاشف الغطاء في محرّم ١٣٧٢ هـ، فما كان من الإمام إلّا أن قطع عليه الطريق وتناول القضيه الفلسطينية بالبحث، وعرض لمسلسل الإجرام الإرهابي في فلسطين من قبل الصهاينة، وأحنىٰ باللائمة علىٰ الولايات المتّحدة في قيام دولة إسرائيل ومساعدة إنكلترا في ذلك وقال بالحرف الواحد:

«إنّ قلوبنا دامية منكم معاشر الأمريكيين، لأنّكم طعنتمونا بالصميم طعنة نجلاء لا يمكن السكوت عنها والصبر عليها... وإن القلوب كلّها ضدكم، وتقطر دماً من فظاعة ضربتكم التي قصمتم بها ظهر العرب»[1] وجرت المحاورة بينهما في هذا السياق، وفي بيان مظلومية الشعب العربي بعامة والعراقي بخاصة.

وقام السفير البريطاني بزيارة النجف في شباط / ٩٥٣ = جمادىٰ الأولىٰ ١٣٧٣ هـ فأكد الإمام هذه المعاني، وطالب بإعادة ما سلب من فلسطين للعرب والمسلمين، وأحنىٰ باللائمة علىٰ وعد بلفور للصهاينة، وعلىٰ الحكومة البريطانية في إنشاء وطن قومي لليهود، وعلىٰ الاستعمار العالمي الذي مهد لضياع شعب عربي مسلم وتشريده من أرضه وسكنه

---

(١) ظ: الإمام كاشف الغطاء / المحاورة بين السفيرين.

وديارة وآثاره، وعقبّ فيما بعد على حقوق الشعب العراقي المغتصبة، وأوضاعه الشاذة القائمة.

كاشف الغطاء أديباً:

الإمام كاشف الغطاء أديب بأدق معاني كلمة الأدب، فقد كتب في جملة من الأنواع الأدبية، وبرع في أكثر من فن، وما خطبه وكتبه، ومقالاته وكلماته، إلّا دليل ذلك، ولما كان الأدب نثراً وشعراً في شقّيه، وقد تقدّم لنا الحديث عن بعض شؤون المحاورة والخطب والمذكرات، وهي تصب في رافد النثر، فكان لزاماً على البحث أن يتحدث عن مناخ الشعر في حياة كاشف الغطاء، وهو حديث طويل في تشعباته، وذلك كونه شاعراً مجيداً طرق أغلب أغراض الشعر، وشعره بحاجة إلى دراسة أكاديمية متخصصة، وذلك ما آندب إليه طلابنا في الدراسات العليا، لأنّه من الكثرة والجودة في رحاب ممتدة تشمل العقيدة والقومية والوطنية، وتستوعب الوجدانيات والأجتماعيات والمرائي.

وليست موشحاته بأقل من رقيق شعره قيمة، فهي على نسيج منواله.

ليس باستطاعة هذا البحث إيراد نماذج شعره بعامّة، ولا بدّ من الأقتصاد فيها، وقد لمسته مغرماً بثورة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وله عدّة قصائد جيدة في الموضوع.

أختار منها قصيدة واحدة للتدليل[1]:

وله يرثي الإمام الحسين عليه السلام أيضاً قوله:

---

(١) ظ: الإمام كاشف الغطاء / الديوان المخطوط في حوزة ولده الشيخ شريف كاشف الغطاء + على الخاقاني / شعراء الغري / ١٤١ - ١٤٤.

أقوتْ فهنَّ مِنَ الأنيسِ خَلاءُ ... دِمَنٌ مَحَتْ آياتِها الأنواءُ
دَرَسَتْ فَغَيَّرَتْ البلىٰ فكأنّما ... طارتْ بِشملِ أنيسِها عَنقاءُ
يا دار مقرية الضيوفِ بشاشةً ... وقراي مِنكِ الوجدُ والبرحاءُ
عَبَقَتْ بِتُربِك نفحةٌ مسكيةش ... وسَقَتْ ثَراكِ الديمةُ الوطفاءُ
عهدي بربعكِ آنساً بك آهلاً ... يعلوُهُ منكِ البِشرُ والسراءُ
وتُرىٰ ربوعك للنواظر أثمدٌ ... والعِقدٌ حِليُ ضيائِكِ الحصباءُ
قد كان مُجْتَمِعُ الهوىٰ واليوم في ... عرصاتِهِ تتفرقُ الأهواءُ
أخنىٰ عليه دهرُهُ والدهرُ لا ... يرجىٰ له بذوي الوفاءِ وفاءُ
أينَ الذينَ بِبِشرهم وبِنَشرِهم ... يحيا الرجاءُ وتأرجُ الأرجاءُ
ضوبوا بعرصة كربلاء خيامَهُمْ ... فأطلَّ كربٌ فوقَها وَبَلاءُ
لله أيُّ رزيةٍ في كربلا ... عَظُمَتْ فهانت دونها الأرزاءُ
يوم به سلَّ ابن أحمد مُرهفاً ... لفِرندِهِ بدجىٰ الوغىٰ لألاءُ
وفدىٰ شريعة جدّه بعصابةٍ ... تفدىٰ وقلَّ من الوجودِ فداءُ
صِيدٌ إذا ارتعد الكميُّ مهابةً ... ومشتْ إلىٰ أكفائِها الأكفاءُ
وعلا الغبار فأظلمت لولا سنا ... جبهاتها وسيوفها الهيجاءُ
عشت العيون فليس إلّا الطعنة الـ ... نجلا وإلّا المقلة الخوصاءُ
زحفوا إلىٰ وردِ المنون تشوقاً ... حتىٰ كأنّ مماتها الأحياءُ
عبست وجوه عِداهم فتبسموا ... فرحاً واظلمت الوغىٰ فاضاءوا
فلها قراع السمهري تسامر ... وصليل وقع المرهفات غناءُ
يأبىٰ لها من أن تشم مذلّة ... أنف أشم وهمة قعساءُ
يقتادهم للحربِ أروع ماجد ... صعب القيادة علىٰ الابا أباءُ
صحبته من عزماته هندية ... بيضاء أو يزنية سمراءُ

تجري المنايا السود طوع يمينه ... ونصرف الأقدار حيث تشاءُ
ذلت لعزمته القروم بموقف ... عفت به آباءها الأنباءُ
بفرائض رعدت وهامات همت ... مذ لاح بارق سيفه الوضاءُ
ولئن تنكر في العجاج فطالما ... شهدت بغر فعاله الهيجاءُ
من أبيض نثر الرؤوس وأسمر ... نظمت بسلك كعوبه الأحشاءُ
كرة الحمام لقاءه في معرك ... حسدت به أمواتها الأحياءُ
يأبىٰ أبي الضيم سيم هوانه ... فلواه من ورد الهوان إباءُ
وتألبوا زمراً عليه تقودها ... لقتاله الأحقاد والبغضاءُ
فسطا عليهم مفرداً فثنت له ... تلك الجموع النظرة الشزراءُ
يا واحداً للشهب من عزماته ... تسري لديه كتيبة شهباءُ
ضاقت به سعة الفضاء علىٰ العدىٰ ... فتيقنوا ما بالنجاة رجاءُ
فغدت رؤوسهم تخرّ أمامهم ... فوق الثرىٰ وجسومهن وراءُ
تسع السيوف رقابهم ضرباً وبا ... الأجسام منهم ضاقت البيداءُ
ما زال يفنيهم إلىٰ أن كاد أن ... يأتي علىٰ الايجاد منه فناءُ
لكنما طلب الإله لقاءه ... وجرىٰ بما قد شاء فيه قضاءُ
فهوىٰ علىٰ غبرائها فتضعضت ... لهويه الغبراءُ والخضراءُ
وعلا السنان برأسه لصعدة الـ ... السمراء فيها الطلعة الغراءُ
ومكفنٌ وثيابه قصد القنا ... ومغسل وله المياه دماءُ
ظام تفطر قلبه ظمأ وبال ... ـحملات منه ترتوي الغبراءُ
تبكي السماء دماً له أفلا بكت ... ماءً لغلة قلبه الأنواءُ
وا لهف قلبي يابن بنت محمّدٍ ... لك والعدىٰ بك أدركوا ما شاؤا
فلخيلها أجسامكم ولنبلها ... أكبادكم ولقضبها الأعضاءُ

وعلىٰ رؤوس السمر منكم أرؤس ... شمس الضحىٰ لوجوهها حرباءُ
يابن النبي أقول فيك معزياً ... نفساً وعز علىٰ الثكول عزاءُ
ما غضّ من علياك سوء صنيعهم ... شرفاً وإن عظم الذي قد جاءوا
أن تمس مغبر الجبين معفراً ... فعليك من نور النبيّ بهاءُ
أو تبقَ فوق الأرض غير مغسل ... فلك البسيطان الثرىٰ والماءُ
أو تغتدي عار فقد صنعت لكم ... برد العلىٰ الخطي لا (صنعاءُ)
أو تقضي ظمآن الفؤاد فمن دما ... أعداك سيفك والرماح رواءُ
فلو أنّ (أحمدَ) قد رآك علىٰ الثرىٰ ... لفرشن منه لجسمك الأحشاءُ
أو بالطفوف رأت ظماك سقتك من ... ماء المدامع أمك (الزهراءُ)
ياليت لا عذِبَ الفرات لواردٍ ... وقلوب أبناء النبي ظماءُ
كم حرة نهب العدىٰ أبياتها ... وتقاسمت أحشاءها الأرزاءُ
تعدو وتدعو بالحماة ولم يكن ... بسوىٰ السياط لها يجاب دعاءُ
تعدو فإن عادت عليها بالعدىٰ ... عدو العوادي الجرد والعدواءُ
هتفت تتير كفيلها وكفيلها ... قد أرمضته في الثرىٰ الرمضاءُ
يا كعبة البيت الحرام ومن سمت ... بهم علىٰ هام السما البطحاءُ
لله يوم فيه قد أمسيتم ... أسراء قوم هم لكم (طلقاءُ)
حملوا لكم في السبي كلّ مصونة ... وسروا بها في الأسر أنىٰ شاءوا
ثكلىٰ تحن لشجوها عيس الفلا ... وترق إن ناحت لها الورقاءُ
تنعىٰ ليوث اليأس من فتيانها ... وغيوثها إن عمت البأساءُ
رقدوا وليس بعزمهم من قدرة ... وغفوا وما في بأسهم إغفاءُ
تبكيهم بدم فقل بالمهجة الـ ... ـحرىٰ تسيل العبرة الحمراءُ
ناحت فلمّا غضضت من صوتها ... بزفيرها أنفاسها الصعداءُ

حنت ولكن الحنين بكىٰ وقد ... ناحت ولكن نوحها إيماءُ
وقست عليهن القلوب فدونها ... الصخر الأصم ودونها الخنساءُ
وخدت بهن اليعملات فلا بها ... ولهن رجع حنينهن حداءُ
ومقيد قام الحديد بمتنه ... غلا وأقعد جسمه الأعياءُ
رهن الضنا قعدت به اسقامه ... وسرت به المهزولة العجفاءُ
وغدت ترق علىٰ بليته العدىٰ ... (ما حال من رقت له الأعداءُ)
لله سر الله وهو محجب ... وضمير غيب الله وهو خفاءُ
أنا اغتدي للكافرين غنيمة ... في حكمها ينقاد حيث يشاءوا
عال علىٰ عجف المطي تتقاذف الأ ... مصار فيه وترتمي الأحياءُ
طوع الأكف وكلهن لئيمة ... نصب العيون وكلّها عمياءُ
وهو الذي لو شاء أن يفنيهم ... قذفتهم الدأماء والدهماءُ
وهوت له شهب السماء بقوسها ... وأطاعه الأصباح والأمساءُ
آل النبي لئن تعاظم رزؤكم ... وتصاغرت في وقعة الأرزاءُ
فلأنتم يا أيّها الشفعاء في ... يوم الجزاء وأنتم الخصماءُ
وإليكم من بكر فكري ثاكل ... تنعىٰ وقد أودت بها البرحاءُ
حسناء جاءت للعزاء ولم تعد ... إلّا بحسن منكم الحسناءُ

* * *

وكما قدّمنا فليست موشحات الإمام كاشف الغطاء بأقلّ روعة من شعره، فهي علىٰ الجانب من الرقّة، وبسييل من حسن الأداء، وجودة المقاطع، وكأنّها تعيد لنا زهو الموشح الأندلسي في عصر ازدهاره، ونشيد الأدب المغربي في دقّة ألحانه، وقد آخترت هذه الموشحة نموذجاً

لذلك[١]:

غـردي بـالبشر يـا ورق الهـنا وارتـقي مـنبر أغـصان الكـثيب
واخـــطبي فـيه بأنـواع الغـنا واخـرسي كلّ مـغن وخـطيب

* * *

وأدر يا ساقي الخـمر الكـوؤس للـنداميٰ مـن عـصير الطـرب
في مغان رقصت فـيها النـفوس بـــــنعيم ليس بـــالمستلب
أشـرقت فـيه وللأنس شـموس وبـدت أقـداحـها كـالشهب
ســلبت عــنهن أبـراد العـنا واكتسب برداً من الزهر قشيب
وبـها مـذ صـدحت طـير الهـنا جاوب القـمري فـيها العـندليب

* * *

وبـــريق الســعد لمـا لمـحا منبئاً عـن غيث انس وسـرور
قـالت الأفـراح لي لن نـبرحـا عكـفاً نـحن علىٰ مـرّ الدهـور
حـول مـغنىً فـيه نـلنا المـنحا مـن شـموس مشـرقات وبـدور
قـد حـدا الرعـد إلينا المـزنا مـثقلات وبـها سـاق الجـنوب
ولهـا قـال اطـرحـي الثـقل هـنا واحللي عـقد شآبـيب الغـروب

* * *

فـبكت فـيها ونـوّار الأقـاح عــن ثـنايا كـاللئالي ضـحكا
ونرىٰ (قطر الندىٰ) غب الصباح فوق أزهـار (الريـاض) اشـتبكا
وقـيان الطـير فـي تـلك البطاح تـــخذتها مـــعبداً أو مـــسكا

---

(١) ط: الإمام كاشف الغطاء / الديوان المخطوط في حوزة ولده الشيخ شريف + علي الخاقاني / شعراء الغري / ٨ / ١٣٤ ـ ١٣٧.

غـــنت الورقـــاء فـيها بـالثنا وغصون البان في رقص عجيب
عـانق الحـوذان مـنها السـوسنا والشقيق الغـضّ مـياد القـضيبْ

❊ ❊ ❊

يـالها مـن روضـة قـد أزهـرت بأزاهـــير الربـــيع الأبـــهج
قالت السحب لها مذ بكرت يـا ريـاض ابتشري وابـتهجي
وكـؤوس الخـمر لمّا ظـهرت أضمرت في مضمرات المهج
وبـــها حـــاملها لمـــا دنـــا خلته يحمل في الكف لهيب
شـــع بـالكأس سـناءً وسـنا فانثنى يـهتزّ كـالغصن الرطيب

❊ ❊ ❊

هبّ يســقي ونـجوم السـحر بـعضها غـابت وبـعض بـازغة
خـــمرة تـــرمي لنـا بـالشرر وهـــي مـرت بـلهانا سـايغة
حسـبوا مـذ لم تـبن بـالنظر أن تـــرووا بكـــؤوس فـارغة
وبـــها أذهب عـــنّا الحـــزنا بعد أن عـامت بـه منّا القلوب
رفـــــعتنا لأقـــاليم الفـــنا بـعد أن كـنّا لهـا دهـراً نـجوب

❊ ❊ ❊

بنت كرم زوجت بـابن سحاب وعـــليه المـــزج دُراً نـــثرا
فـتبدت بـنقاب مـن حـباب بعد ما فـي الدّن قـضت عـصرا
بـــلجين بـرزت تـبراً مـذاب وشـهاب فـي شـهاب ظـهرا
فهما يا صاح لي أقصى المنى وكـذا أقصى منى كـلّ كـئيب
بـــهما القـــلب غـدا مـفتتنا وبأحوى من ظبا القاع ربيب

❊ ❊ ❊

ناعس الأجفان ساجي المقل حرج الخلخال جوال الوشاح
أسبل الفرع كليل أليل فوق وضاح جبين كالصباح
إن مشىٰ اهتز اهتزاز الأسل بقوام فيه بدر التم لاح
أورنا تحسبه ريماً رنا بلحاظ ريشها يصمي القلوب
فضح البدر سناءً وسنا بمحيا كلف الشمس الغروب

* * *

واعذابي بثناياه العذاب وانحولي فيه من خصر نحيل
ريقه والثغر خمر وحباب وهما برء من الداء الدخيل
ما دعىٰ داعي الهوىٰ إلّا أجاب لي قلب في الهوىٰ أضحىٰ قتيل
لا بساً للحب أبراد العنا ولأبراد العزا أضحىٰ سليب
إن تباعدت دنا منه الفنا أو تقاربت فواش ورقيب

* * *

وإذا هبت صبا الريح صبا لك قلبي أيّها الساكن فيه
بي ظبي وبألحاظ الظبا منك ولي مفلتاً من قانصيه
وبنار الحب قلبي قلبا حيث لا تطفي سوىٰ نهلة فيه
سكن مذ بفؤادي سكنا حرّك الوجد عليه والعطب
ولهيب فيه قد شبّ العنا وعليه خفت من ذاك اللهب

* * *

أيّها النازل في وادي الغضا وبقلبي شبه من وجنتيه
بمريض اللحظ قلبي أمرضا وشفاه بالذي في شفتيه
أفهل أنت علىٰ ما قد مضىٰ من وثيق العهد أم لست عليه

ما تذكرت ليالي المنحنىٰ فيك إلّا أوشك القلب يذوب
سلبت من مقلتي الوسنا وانقضت حالفة ألا تؤوب

❊ ❊ ❊

بك يا كعبة اخوان الصفا طاف قلبي بالهوىٰ واعتمرا
وسعىٰ لمّا بدا نور الصفا محلقاً للصبر لمّا قصرا
وأتىٰ للحسن بيتاً مشرفاً فرأىٰ قلبك فيه الحجرا
فاغتدىٰ فيه يراعي السننا ولمّا يفعله الحبّ منيب
والمنىٰ أعشب في وادي منىٰ بوصال لمحب من حبيب

❊ ❊ ❊

في مقام بالحسن قويم من صروف الدهر كنّا آمنين
بين أنهار وجنات نعيم وأباريق وكاس من معين
إن هوت للسكر من كف النديم أخذتها قاصرات الطرف عين
فيه غيث اللهو انساً هتنا فعلىٰ روض الهنا فيه خضيب
وبه قد اشرقت سود الدنا واكتست برداً من الزهر قشيب

❊ ❊ ❊

فهو كاليوم الذي شمس الضحىٰ فيه زفت لاعتناق القمر
وبأفلاك سعود سبحا أبداً كلتاهما في ميزر
وهما كانا قديماً شبحاً للمعالي قبل بدء الصور
فهما الآن ببرج قرنا مستطيل وعن الفكر غروب
وهو منها قد تدلّىٰ ودنا مثلما التف قضيب بقضيب

❊ ❊ ❊

يـا خـليلي إلىٰ الكـرخ اذهـبا بـي فـفي وادي طـواهـا أربـي
فوق وجنا خـلقت ريـح الصـبا خـلفها دانـي الخـطا وهـو كـبي
وإذا مـا اللـيل أرخـىٰ الحـجبا رفعت بالخف مرخـىٰ الحـجب
قـدحت زنـد الحـصىٰ فـيه لنـا فأظاءت ظلمة الحزن المـجوب
وطـــويناهم إلىٰ رحب الفـــنا مـنشرات مـن بـطاح وسـهوب

* * *

وبمثل هذين النموذجين القصيدة والموشح، يلمس القارئ قوة الأسر في النظم، وصحة الأداء في التعبير، ومراعاة الجناس والطباق فـي جـرس الألفاظ، ورقة الأفكار تارة وفخامتها تارة أخرىٰ، فالشعر هذا قد نظم قبل ثمانين عاماً، وهو وليد بيئته، إن لم يكن قد تجاوزها في التصوير، وهي حقبة كافية للنظر في الأبعاد الأدبية لحياة النـجف الأشـرف آنـذاك فكـراً وثقافة، ولعقلية الشيخ كاشف الغطاء أدباً جميلاً متوازناً.

طرائف نادرة:

الإمام كاشف الغطاء شخصية رائعة في مجالات شتّىٰ، فـهو شـديد الغضب في ذات الله، وهو مرهف الحس في الحضور الذهني، وهو أريحي الطبع في المناخ النفسي، وهو سريع البديهية في إرسال النادرة. لا يتكلّف أمراً، ولا يتعسف سلوكاً.

وله طرائف وظرائف تنم عن سليقة فـطرية فـي الوقت الذي تـطبّق المفصل، ولديه نوادر يرفق بها حيناً، ويشتدّ حيناً آخر، ولمّا كانت فـي النجف جارية مجرىٰ الأمثال، أحببت أن أروّح عن نفس القارئ بذكرها، فأنفاس كاشف الغطاء في السرّاء والضراء تعبّر عنه بـصدقٍ وهـو يـتنفس

الصعداء ، فلله درّه ، وهنا أذكر نماذج مما أدركته منها :

١ ـ النوادر الإقتصادية :

* كان الشيخ رحمه الله معروفاً بحسن التدبير ، والإقتصاد بملبسه ومأكله وشؤونه ، وإقتصاره في المصارف علىٰ الواجب دون الأسراف ، وفي المعروف بلا تبذير ، وقد أطلق حكمته المشهورة في العراق بقوله :

«درهمُكَ دَمُكَ ، فلا تصرفْهُ إلّا في عروقك» .

* أُوفد ابن أخيه الأُستاذ عباس آل الشيخ أحمد كاشف الغطاء للدراسة في الولايات المتحدة ، فسأل الإمام ما هو الفرع الذي يدرسه ، فقيل له : علم الأقتصاد ، فقال الشيخ رحمه الله : عباس مشتبه ومغفّل ، لو حضر عندي في مدرستي هذه لدرس علم الاقتصاد ، أنا أعرف بالإقتصاد من الولايات المتحدّة .

* تسلّم كاشف الغطاء مبلغاً من المال بحضور أستاذنا الشيخ هادي القرشي (ت ١٩٩٧ م) أستاذ البلاغة العربية في الحوزة العلمية في النجف الأشرف[١] .

والشيخ القرشي رحمه الله ، معروف بالأريحية الفائقة وإرسال النوادر والملح ، فألتفت إلىٰ كاشف الغطاء قائلاً : شيخنا كيف تعرب هذه الجملة ؟ : «الشاف شارك» يعني الذي يرىٰ الهدية يشارك فيها ، وهو مثل دارج .

---

(١) درس البلاغة العربية لا يُعطىٰ في الحوزة العلمية في النجف الأشرف إلّا للأدباء والشعراء لأنّه مورد تخصصهم ، وقد أدركت من يدرس هذا الفن علىٰ التوالي : الشيخ علي ثامر والد الدكاترة أحمد وحسن ومحمود ، الوالد الشيخ علىٰ الصغير ، الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ، الشيخ هادي القرشي وقد درست البلاغة عنده عام ١٩٥٥ م ، وكاتب هذه السطور قد درّس هذا العلم منذ ١٩٧٥ حتىٰ أواخر عام ١٩٩٤ م في كلّ من الحوزة العلمية وكلّية الفقه وجامعة النجف الدينية .

فأجاب كاشف الغطاء فوراً: هذه الجملة لا محلّ لها من الإعراب.

وفي هذا الصدد كان الشيخ القرشي جالساً إلىٰ جنب الإمام الخوئي قدّس سرّه في ديوانه العلمي، وإلىٰ جنبه قاصة حديدية، فيها بعض الإمانات والأموال التي يشرف عليها بنفسه رضوان الله عليه، فأخرج المفتاح لفتحها، فقال له الشيخ القرشي: سيدنا أعرني هذا المفتاح ولو قليلاً.

فقال الإمام الخوئي قدّس سرّه: لا مانع من هذا، ولكن دعني أفرّغ ما في القاصة، ثمّ أعطيك المفتاح، فضحك كلّ من في المجلس.

* جدد الإمام كاشف الغطاء بناء مدرسته العلمية الواقعة بجوار مسجد آل كاشف الغطاء ومقبرتهم ذات القبّة الزرقاء، وكان الحديد شحيحاً لظروف الحرب العالمية الثانية في الأربعينات، فأشير عليه أن يشتري ذلك من مديرية السكك الحديدية العامّة، لأنّ سكك القاطرات تصلح لسقوف البناء، فكتب لها بذلك، فأرسلت له كلّ ما أراد، ثمّ طالبته بالمال، فتثاقل عن ذلك، وعرضت القضية علىٰ وزارة المالية، فما حصلت علىٰ المال، وفاتحت رئيس الوزراء نوري سعيد بالأمر، ولدىٰ إحدىٰ زياراته النجف قابل الشيخ، فطالبه بمال، الفقال الشيخ: لكلّ عراقي حصّة من نفط العراق، وما أخذته لبناء مدرستنا العلمية من الحديد هو جزء ضئيل من حصتي في نفط العراق، فأَحجم نوري السعيد عن الكلام، والحقّ أنّ هذا المال في نظر الشيخ من مجهول المالك، والإستيلاء عليه جائز بأذن الحاكم الشرعي، وهو الحاكم الشرعي.

٢ ـ النوادر السياسية:

* كان الدكتور ضياء جعفر وزيراً للإعمار في الخمسينات وتحت

تصرفه أموال طائلة هي ميزانية لمشاريع الإعمار في العراق، وكان يزور الإمام كاشف الغطاء، يتواضع كثيراً ين يديه ـ وهو متواضع حقّاً ـ ويجلس بين يدي الشيخ جلسة الحَذِر المؤدب، وكان الشيخ يطالب بمشاريع عديدة للعراق في الريّ والطرق والجسور والمعاهد الثقافية وما شابه ذلك، ويسائله عن ذلك وأمثاله، والدكتور ضياء يجيب تارة، ويتلكأ تارة أخرىٰ، والإمام يحاوره بلواذعه وقوارصه غيرةً علىٰ البلاد، ويردد كلمته المعروفة:

«هذه الوزارة: وزارة الإستعمار، لا وزارة الإعمار».

* أصدر كاظم الكفائي كتاباً يثير النعرات، وقدّم للمحاكمة مما خلق أزمة سياسية في العراق، فأبرق الإمام كاشف الغطاء إلىٰ البلاط الملكي في بغداد بالنص الآتي: «الكتاب يحرق، والكفائي يطلق».

فكان له ما أراد، وكان ذلك في أواخر الأربعينيات.

* إتّصل تليفونياً في الأربعينيات بقائم مقام النجف، لقضاء أشغال الناس ـ وكان الإمام كاشف الغطاء لا يبخل بالجاه ـ ورفع القائمقام سماعة التلفون، فقال كاشف الغطاء له: الشيخ يتكلّم.

فردّ القائم مقام بلهجة فيها شيء من الإستخفاف.

نعم، إفهمنه!! ماذا يريد الشيخ؟

فأغلق الشيخ التلفون عند سماع هذه العبارة، وأبرق إلىٰ عبد الإله الوصي علىٰ العرش بالبرقية الآتية.

«أدّبوا موظفكم، وإلّا أدبناه».

فنقل القائم مقام في تلك الليلة، وما طلعت شمس اليوم التالي للحادث إلّا وهو يغادر النجف إلىٰ بغداد.

٣ ـ النوادر الأدبية :

* توفي الشيخ باقر الجواهري عام ١٩٥٠ م ، وهو ابن عم شاعر العرب الأكبر محمّد مهدي الجواهري (ت ١٩٩٨ م) فرثاه بقصيدة رائعة ، وألقاها في فاتحته في اليوم الثالث في ديوان آل الجواهري ، الواقع قرب مسجد الشيخ صاحب الجواهر الشيخ محمّد حسن النجفي قدّس سرّه الشريف ، ومطلع القصيدة :

بقلبي أم بنعشك حين مادوا ودمعي أم رثاؤك يستعادُ

وبيت صيح نهباً في ذويه كأنّ الموتَ بينهم طِرادُ

وكانت القصيدة من غرر الشعر ، وكاشف الغطاء يتصدر المحفل ، ومنزلته وزعامته ينافيان ـ عادةً ـ أن يهتز للشعر ويستلذه ، ولكن الشيخ كان يستحسن ويستجيد ويستعيد ، وكلمّا استعاد مورداً ، قال الجواهري : سمعاً وطاعةً سيدي ، مكبراً فيه تلك الروح الأدبية .

وكنت حاضراً بخدمة سيدي الوالد ، وأنا موزّع النظرات ومرهف الإحساس بين إلقاء الجواهري الذي مازجه بحسراته ودموعه ، وبين إهتزاز الإمام كاشف الغطاء ، واستيحائه لأفكار الأستاذ الجواهري رحمه الله .

* في عام ١٣٧٠ هـ ، احتفل النجفيون بعيد الغدير إلخالد عصر يوم الثامن عشر من ذي الحجّة ، وهو اليوم الذي نصّ فيه رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم علىٰ أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بالولاية الألهية علىٰ المسلمين كافّة .

وكان الإحتفال رائعاً ، وفي مسجد الخضراء بجوار الحرم الحيدري ، وفي رحابه يلقي بحثه الخارج سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي قدّس سرّه

الشريف ، وهو في عنفوان نشاطه العلمي ، وقد حضر الإحتفال ، وفجأة تعالت أصوات الصلاة علىٰ محمّد وآل محمّد ، وإذا بالإمام كاشف الغطاء يدخل المهرجان بسمته المهيب ، وجلس قرب المنصّة ، وكانت عادّة النجف والعراق وحتّىٰ اليوم ، أنّ الشاعر المرموق تكون قصيدته آخر القصائد في الإلقاء لينتظره الحضور ، وألقىٰ سيدي الوالد الشيخ علي الصغير ، قصيدة أوّلها :

ولاكَ مـــن الله إيـــمانُها وحبُّك في النفس قرآنُها
وبالرغم أنتَ فصول الآذان وإن يأبَ ذلكَ طـــغيانُها
عـــلمتُ بأنّ ولاكَ السفين وحبُّكَ في الحشرِ ربانُها

* * *

وكان الإمام كاشف الغطاء يستحسن ويستعيد وينطق أغلب القوافي ، حتىٰ قلت للوالد بعد الإنتهاء من الإحتفال هل قصيدتك هذه قديمة ، فالشيخ يترصد القافية وينطقها .

قال : إنّ معاني الشعر هي التي تحدد القافية .

واستمر الوالد في الإنشاء حتّىٰ آذان المغرب ، فأشير عليه بالإسراع لأنّ الشيخ يقيم الصلاة جماعة في الحرم ، فأمر الشيخ باسترساله بأكمال القصيدة ، وقد تأخر الوقت شيئاً ما ، وعند ختام قصيدته نزل الوالد من المنصّة باتجاه الشيخ ، وقبل يده الشريفة ، فاستحسن ذلك منه .

٤ ـ النوادر الذاتية :

* عرف عن الإمام كاشف الغطاء إعتداده بنفسه ، وهو أهل لهذا الإعتداد مع زهده وتواضعه العجيبين ، وقد إشتهر عنه قوله :

«إنّ في صدري لعلماً جمّاً، وأخشىٰ شياطين الإنس من أن أبوح به، لأنّهم يوجهون السواد الأعظم وفق مشاربهم ومقاصدهم».

وهو يريد بذلك: أن المناخ الإجتماعي العام قد لا يطيق الحقائق الناصعة مع توافر عنصر الدجل الديني، والزيف الذي يستغل سذاجة العوام من الناس، فيؤول كلامه الصريح بالتفسير الخاطئ المتعمد خلافاً للتوجه العلمي الأصيل فيثير الأحاسيس، ويهيج العواطف وفق الرغبات.

* أفاد الشيخ كاشف الغطاء قبل وفاته بعام، وهو يرقد في مستشفىٰ الكرخ «مستشفىٰ الكرامة» ببغداد، وكان الحديث عن الأعمار، وقد سئل عن عمره الشريف:

«أنا لم أبلغ العشرين!! فقيل كيف ذاك؟ فأجاب: العمر تابع لشعور الإنسان، فإذا شعر بالشباب وهوايات الشباب، فهو كالشاب في حيويته، والسن تابع للحيوية، وبناءً علىٰ هذه المقدمات، فأنا أعتبر نفسي شاباً»[1].

وهكذا كان فقد كان الشيخ وهو ابن الثمانين يتمتع بحيوية الشباب.

*كنتُ أقبّل يده، وقد تكرر ذلك كلمّا أشاهده، وأسال عن صحبته، وهو لا يعرفني، فاستوقفني مرةً، وأنا أعتمر العمامة البيضاء صبيّاً، وقال: من أنت يا ولدي، قلت: محمّد حسين بن الشيخ علي الصغير، ففرح وإنشرح وأنس كثيراً وقال: «الشبل من ذاك الأسد»، وفقك الله وحفظك ورعاك، موّفق إن شاء الله.

ومما ينبغي ذكره هنا أنني سميت باسمه الشريف لتواجده في ديواننا (البراني) عند ولادتي في ١/رمضان/١٣٥٨ هـ.

---

(١) علي الخاقاني / شعراء الغري ٨ / ١١٧.

*في واجهة مكتبته (مكتبة علي والحسين) في مدرسته العلمية حيث ديوانه العامر، واستقبال العلماء والسياسين والمثقفين ورجال الدين، رقشت على الجدار المواجه للداخل إلى قاعة المكتبة الكبرى في خط بارز هذه العبارة وهي من إملائه:

«بَيتٌ فِيهِ العلمُ لا يَخرَبُ إنْ شاءَ اللهُ».

والعبارة على بساطتها ووضوحها شائعة على ألسن أهالي النجف الأشرف، وراسخة في ضمير رجال العلم، ومصداق هذه العبارة ما زال قائماً حتى هذا اليوم ٣/جمادى الأولى/١٤٢٣ هـ = ١٢/تموز/٢٠٠٢ حيث يتواجد جملة من طلاب العلم في هذا البيت في طليعتهم ولدنا الدكتور الشيخ عباس آل كاشف الغطاء واخوانه المهذبين، نأمل أن يعيدوا أمجاد هذا البيت العظيم برعاية المراجع العظام دام ظلّهم، وعناية شخصية الأسرة الشيخ شريف نجل الإمام كاشف الغطاء.

نوادر سيرته الذاتية:

ومضافاً إلى ما تقدّم من نوادر أدبية وسياسية فقد كتب الإمام كاشف الغطاء سيرته الذاتية بقلمه الشريف في مقالين صغيرين، جاء الأوّل منها بصيغة الحديث عن الغائب، والثاني عن المتكلم.

١ ـ في عام ١٩٣٥ م كتب سيرته الذاتية الأولى فقال في جملتها:

هو الشيخ محمّد حسين بن علي بن الرضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء، ينسب إلى عائلة عربية صحيحة وعريقة في الشرف.

هاجر جدّها الأعلى إلى النجف منذ ثلاثمائة سنة من (جناجة) ـ بلدة

جنوب الحلة ـ وولد في النجف عام ١٢٩٤ هـ، الموافق ١٨٧٧ م، وتعلم أيام صباه القراءة والكتابة والحساب، ودرس أيام شبابه النحو والمنطق والبيان والآداب، ثمّ تخرج في الحديث على العلّامة المحدّث ميرزا حسين النوري.. وفي الأصول على حجّة الإسلام الشيخ محمّد كاظم الخراساني، وفي الفقه على حجة الإسلام السيّد كاظم اليزدي، ودرس علم التفسير، والتأريخ والفلك...

سافر عام ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م من النجف إلى مكّة المكرمة لأداء فريضة الحج، ومن مكّة توجه إلى دمشق، ومنها إلى بيروت، ومكث في ربوع سوريا، ومصر ثلاث سنوات، واشترك في الحركة الوطنية مع أحرار سوريا: كالشيخ أحمد طبارة، وعبد الكريم الخليل، وعبد الغني العريسي، وباثروباولي...

وفي عام ١٩١٤ م قبل إعلان الحرب العالمية الأولى بشهر ونصف قفل إلى العراق عن طريق حلب ودير الزور، وصار من خواصّ حجة الإسلام السيّد كاظم اليزدي.

وفي عام ١٩١٧ م ذهب مع السيّد محمّد نجل السيّد كاظم المذكور، وجماعة من العلماء إلى (الكوت) للجهاد أمام قوات الإنكليز.

وبعد وفاة أخيه الشيخ أحمد عام ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م أصبح من المراجع العامّة للتقليد في النجف الأشرف.

وفي عام ١٩٣٣ م (٢٥ تموز) = أول ربيع الثاني ١٣٥٢ هـ، توجه إلى إيران عن طريق كرمنشاه، ورجع عن طريق البصرة، ومكث هناك نحو ثمانية أشهر متجولاً في المدن المهمة يدعو الإيرانيين إلى التمسك بالدين الإسلامي، وإلى ضرورة التفاهم مع الأقطار الإسلامية والشرقية والإتحاد

معها .

وكان موضع الحفاوة والتبجيل في كلّ مدينة يحلُّ بها ، وقد خطب في كلّ من المدن الآتية باللغة الفارسية (والعربية) :

كرمنشاه ، همدان ، طهران ، شاهرود ، خراسان ، شيراز ، المحمّرة ، عبادان .

٢ ـ كتب الإمام سيرته الذاتية عام ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م أي قبل وفاته بعامين اقتطع منها نوادرها مثبتاً لجزء منها :

ما انتهىٰ العقد الأوّل من أعوامي إلّا وقد شرعتُ أوكَرعتُ من مناهل العلوم العربية والآداب ومبادئ الفقه والأصول .

ثمّ لم تنطوِ صحيفة العقد الثاني من حياتنا إلّا ونحن منهمكون في طلب دائب ، وحركة سافرة بالإشتغال في علوم الحكمة والفلسفة والكلام عند أساطينها الذين هاجروا إلىٰ النجف الأشرف والحضور في حوزة درس الطبقة العليا من الأساطين كالكاظمين (صاحب العروة) وصاحب الكفاية ـ رضوان الله عليهما ـ ...[1] ...

وعلىٰ الشيخ الفقيه الهمذاني صاحب «مصباح الفقيه» المتوفىٰ سنة ١٣٢٢ هـ ، وغير هؤلاء من الأعاظم (قدّس الله أسرارهم) .

وفي حين الوقت الذي أحضر عند هؤلاء الأساتذة الأعلام كانت لي حوزة درس من الأفاضل المهاجرين لطلب العلم ، فكنت أكتب ما أتلقاه من أساتذتي فى الفقه واصوله ، وأحرر ما ألقيه من الدروس علىٰ تلاميذي .

---

(١) المراد بذلك السيّد كاظم اليزدي مؤلف العروة الوثقىٰ (ت ١٣٣٧ هـ) والمولىٰ الشيخ كاظم الآخوند الخراساني صاحب (كفاية الأصول) (ت ١٣٢٩ هـ) ، وقد حضر عندهما معاً عام ١٣١٢ هـ حتّىٰ وفاتهما كما أفاد في السيرة هذه .

وفي هذه الآونة وأنا في وسط العقد الثالث ألفت شرح العروة الوثقىٰ (في مجلدين كبيرين لم يطبع شيء منهما إلىٰ الآن)...

...ثمّ الحّ بي العطش والظمأ إلىٰ إلتماس جرعة من كتب العرفاء الشامخين (كالفصوص، والنصوص، والفكوك، وكثير من مثنويات ملا جلال الدين الرومي، والجامي، وشمس التبريزي، والشبستري)[1]، وغيرهم ممن نهج علىٰ مناهجهم، وعرج في معراجهم، فكنت لا أجد راحة ورَوْحاً لروحي من عناءالحياة، ومتاعب الكفاح إلّا بمزاولة الأدب العربي، والتلذذ بمطالعة كتب القوم والأنس بأشعارهم ومعارفهم، حتّىٰ بلغت من ذلك علىٰ مثل ما قيل (كنت أشرب ولا أرتوي، فصرت أرتوي ولا أشرب)[2].

وعلىٰ كلٍّ فلا أريد بكلمتي هذه أن أترجم لنفسي شؤون حياتي، وكيف انقضت ساعاتي أيامي وليلاتي، فإنّ هذا يحتاج إلىٰ مؤلف ضخم كلّه عجائب وغرائب، ودروس، وحوادث، وكوارث، وعبر، ولعلّ التأريخ يحتفظ بشيء منه ـ إن كان لا يستطيع الإحتفاظ بكلّه ـ.

نعم، جلُّ القصد من هذه الومضة إنارة زاوية واحدة في هذا العمر الحافل بالزواية والمزايا، وهي ناحية الشغف والولع بالتأليف ونشر العلوم والثقافة بشتىٰ أنواعها فكان أوّل تأليف لنا «العبقات» ـ كما أسلفنا ـ وهو أدب وتأريخ وتراجم.

---

(١) هذه أسماء كتب أدبية وتراثية تبدأ بفصوص الحكم، ودواوين شعرية تبدأ بديوان جلال الدين الرومي، والكتب والدواوين هذه بعضها بالعربية، وبعضها بالفارسية وكاشف الغطاء يجيد اللغتين.

(٢) وهكذا كاتب هذه السطور أمس واليوم وغداً ولكنه يشرب ولا يرتوي. «الصغير».

وأوّل تأليف في الفقه «شرح العروة الوثقىٰ» كنّا نكتب الشرح ليلاً، ونلقيه نهاراً علىٰ حوزة الدرس المؤلفة من أعلام الأفاضل المتجاوز عددهم المئة في مسجد الهندي تارة، وفي غيره أخرىٰ.

وبعد وفاة أستاذنا الطباطبائي (أعلىٰ الله مقامه) بسنة واحدة رجع إلينا جماعة من المؤمنين من أهالي بغداد، وطلبوا منّا تعليقاً علىٰ «التبصرة» ليكون عملهم عليها، فعلّقنا عليها حواشي، وطبعت في هامش الكتاب مع حاشية الأستاذ «قدّه» سنة (١٣٣٨ هـ) وفي خلال هذا ترجمنا عدة كتب من الفارسية إلىٰ العربية كـ«فارسي هيئت» و«حجة السعادة» ورحلة «ناصر خسرو».

وأوّل تأليف لنا في الحكمة والعقائد «الدين والإسلام»، وكنا وسمناه «الدعوة الإسلامية إلىٰ مذهب الإمامية»، وشرعنا بطبعه بمطبعة دار السلام في بغداد.

وبينا كانت المطبعة تشتغل بطبع الجزء الثاني سنة ١٣٢٩ هجرية، وكانت بعض نسخ من الجزء الأوّل نجز طبعه قد انتشرت وتداولتها الأيدي، وإذا بالسلطة تهاجم المطبعة بغتةً، وتصادر الكتاب بجزأيه، وتحمله إلىٰ حيث لا ندري إلىٰ الآن، وكان ذلك بأمر الوالي الشهير في عهد دولة (عبد الحميد ورشاد) (ناظم باشا) وبإيعاز المُتي (شيخ سعيد الزهاوي) فكبّدونا بهذه الحركة الجائرة، خسائر باهضة مادية ومعنوية، بعثت فينا روح النشاط والحماس إلىٰ السعي بطبعه خارج العراق، فصمّمنا العزيمة علىٰ الحج إلىٰ بيت الله الحرام من (الكاظمية) إلىٰ (الشام) علىٰ البغال شهراً كاملاً، ومنها إلىٰ (المدينة المنورة) بالقطار، ومنها إلىٰ (مكّة) علىٰ الجمال، وكتبنا بهذه السفر رحلة بديعة أسميناها «نزهة السمر ونهزة السفر» لا تزال بخطنا.

ثمّ أقفلنا بعد الفراغ من أداء المناسك إلىٰ الشام أيضاً ومنها إلىٰ بيروت، فصيدا فأنجزنا طبع الجزءين منه، ولطفّنا من أسلوبه الثقيل في الطبعة الأولىٰ حتىٰ سَاغَ مشربُهُ للجميع.

ثمّ طبعنا الجزءين من «المراجعات الريحانية»، والجزءين من «التوضيح في الإنجيل والمسيح»، وواصلنا السعي لنشر عدّة كتب مهمة، وأشرفنا علىٰ تصحيحها كـ «الوساطة» للقاضي الجرجاني، و«معالم الإصابة في الكاتب والكتابة»، وديوان السيّد الحبوبي، وسحر بابل، وغيرها، ثمّ عدنا إلىٰ النجف سنة ١٣٣٢ هـ أوائل الحرب العالمية الأولىٰ، وألجأونا إلىٰ الإرشاد، والدعوة، وسافرنا للجهاد عدّة مرات حتّىٰ إذا وضعت الحرب أوزارها، وأنتقل أُستاذنا السيّد الإمام الكاظم إلىٰ جوار ربّه، وتحمّلنا أعباء وصيّته مع الأخ المرحوم (أعلىٰ الله مقامه)[1] الذي اجتهدنا معه في تنقيح تأليف «العروة الوثقىٰ»، وطبعها مرتين في حياته، وكانت مرجعية الإمامية في عموم الأقطار قد انتهت إليه (رضوان الله عليه)، وعلينا كان يعول في جميع مهماته ولا يضع ثقته عند غيرنا، وإلينا يرجع كلّ مرافعة تنشر عنده فيحكم بحكمنا، ويقضي بقضائنا، ولا تزال وصاياه بخطّه عندنا.

ومذ اتسعت دائرة المرجعية إلينا بعد وفاته اضطرّتنا الظروف إلىٰ نشر الرسائل العملية المتنوعة، فأصدرنا عدّة رسائل كـ «الوجيزتين الصغرىٰ والكبرىٰ» (فارسية، وعربية)، وقد طبعت عدّة طبعات، وكـ «السؤال والجواب العربي» الذي طبع تكراراً، وكـ «زاد المقلدين» (الفارسي) الذي

---

(١) الحجّة الشيخ أحمد آل كاشف الغطاء (ت ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م).

تكرر أيضاً طبعه في النجف الأشرف، وفي خراسان، وكـ «حاشية التبصرة»، و «حاشية العروة الوثقىٰ» وفيه أنفس التحقيقات في المدارك الفقهية وكذلك التعليقات علىٰ «سفينة النجاة» أربع مجلدات، والأصل مجلدان للأخ المرحوم طبع ونفذ في حياته، فعلّقنا عليه حتّىٰ بلغ أربعة أجزاء، وأطبعناه ثانياً.

وألفنا «الآيات البينات» أربع رسائل مهمة في ردّ الأموية، والبهائية، والوهابية، والطبيعية، وقبل الحرب العالمية الثانية ألّفنا «تحرير المجلّة» في خمسة أجزاء، ويعرف قدر هذا الكتاب، وعظيم وقعه، وعلو مقامه، مَنْ يطالعه ـ إن كان من أهل ذلك ـ.

وأعظم من كلّ هذا أثراً، وأعظم نفعاً، وأصدق خُبْراً وخَبَراً كتاب «أصل الشيعة» الذي ترجم إلىٰ عدّة لغات، وطبع إثني عشرة مرة، ويتلوه «الأرض والتربة الحسينية» ترجم إلىٰ الفارسية، وطبع فارسياً وعربياً. والمترجم لها هو العالم المتبحر البر التقي الشاهزادة خسرواني أطال عمره وأجزل أجره.

وكان البريد وغيره يوصل إلىٰ مكتبتي سحابة عمري كتباً من الأقطار البعيدة والقريبة من العراق وخارجه وتشتمل علىٰ أسئلة في مسائل عويصة ومشاكل غامضة في أصول الدين وفروعه، وأسرار التشريع والحكمة في الأحكام، مضافاً إلىٰ الاستفتاء في الفروع الفقهية والقضايا العملية فكان الجواب عنها يذهب مع السؤال، ولم نحتفظ إلّا بالنزر اليسير ممّا ذهب، وقد جمعنا من هذا اليسير مجلداً كبيراً وسمّيناه بـ «دائرة المعارف العليا» يصح أن يعدّ ثروة علمية من أنفس الذخائر، وقد بقي من هذا النوع أوراق مبعثرة في حقائبنا ومجاميعنا فيها الكثير من الخطب والكلمات والمقالات التي تتعلق بأهل البيت سلام الله عليهم باختلاف المناسبات من أيام

شهادتهم ، ووفياتهم ، ومواليدهم ، وأسرار شهادتهم ، وما إلىٰ ذلك مما يناط بهم ، ويعود إليهم ممّا نشر بعضه في بعض الصحف والمجلات ، وما لم ينشر .

وكنت طالما أحدّث نفسي بجمع تلك المتفرقات في كتاب عسىٰ أن يكون كعقد ثمين ينتظم في سلك تلك العقود من المؤلفات التي وفقنا الله جلَّ شأنه لنشرها ولخدمة العلم والفضيلة ، ونفع الإنسانية ، وهداية البشر بها التي تجاوزت الثمانين ، والكثير أو الأكثر منها لم يطبع .

ثمّ رأيت أن أفرد المسائل العلمية والمباحث النظرية في كتاب ، وما يتعلق بالنبيّ ، وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام في كتاب آخر ينتفع به أهل المنبر والخطباء مستقلاً علىٰ الأكثر ، وإن كان هذا المنهل العذب للجميع شرعاً سواء ، وأجعل هذين المؤلفين أو الثلاثة مسك الختام ، أو ختامه مسك لحياتي التي أوشكت علىٰ الزوال ـ وهي في آخر مراحلها ـ وقد ذرفت علىٰ السبعين ، وأخذت بمعنقي ، أو أخذت بعنق الثمانين .

قالوا أنينُكَ طولَ الليلِ يُزعِجُنا فَما الذي تَشتَكي ، قُلتُ : (الثمانينا)

ثمّ هذه (السبعون) أو (الثمانون) مع تفاقم العلل والأسقام ، وضعف الحال وتراكم الأشغال ، وتوالي الإحن والمحن ، وسوء الزمن وأهل الزمن ، هو الذي كان يحول بيني وبين إنجاز تلك الرغبة ، وجعلها في حيز العمل ، وإن فسح الله تعالىٰ في الأجل ، ووفّقنا ، فتلك زيادة فضلٍ منه تعالىٰ الذي عوَّدنا علىٰ ألطافه منذ أوجدنا ، وأسعد جدّنا[1] .

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

---

(١) ظ : الدكتور جودت القزويني / ترجمة الإمام محمّد الحسين كاشف الغطاء بقلمه وتكملتها / ضمن كتاب : العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية / للإمام كاشف الغطاء / ١٢ ـ ١٨ / بتصرف .

مؤلفاته وآثاره :

برع الإمام كاشف الغطاء في التأليف والتصنيف منذ عهد مبكر ، وقد تعجب إذا قلت لك : أنّه ألف كتابه في أسرته «العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية» وهو بعد لم يبلغ الحلم أو بلغه ، وقد يسمّيه أيضاً هو نفسه «النفحات العنبرية في الطبقات الجعفرية» وقد تحذف الألف واللام من طبقات التسمية الأولىٰ[١] .

وإعتبره الإمام نفسه أنّه «أحسن مجموع في التأريخ والأدب إلّا أنّه يحتاج إلىٰ بعض الإصلاح والتهذيب ، لإنّه كان قد جمعه ـ يعني نفسه فهو مؤلفه ـ قبل الخامسة عشر من عمره»[٢] .

وقد أثنىٰ عليه شيخ الأدب والعرب المرحوم الشيخ جواد الشبيبي (ت ٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م)[٣] ، فقال : «له من المصنفات كتاب أنيق ألّفه قبل أن يألف العذار عارضيه ، ويجري قلم التكليف عليه ، أخلصه لتراجم طبقات أسلافه الأكارم ، وأسره الأعاظم ، وعدّ مساعي آبائه وأجداده ، ومآثرهم الجميلة في الدين ، وغرّ خدماتهم في الإسلام ووسمه بـ «العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية» وهو مشروع تموج فيه مياه الآداب من مساجلات ومراسلات ، وتواريخ ، وتراجم ، ومسائل فقهية ، ومباحث علمية ، ونثر فائق ، وشعر رائق ، مما قالوه أو قيل في مدائحهم ، ومراثيهم

---

(١) ظ : الإمام كاشف الغطاء / العبقات / ١٤ + ٢٧ . تحقيق د . جودت القزويني .

(٢) تعليق كاشف الغطاء علىٰ ديوان السيّد جعفر الحلّي «سحر بابل وسجع البلابل» ١٣١ .

(٣) هو والد الزعيم الوطني الراحل علّامة العراق الشيخ محمّد رضا الشبيبي الذي ستقرأ سيرته وحياته ونضاله في الجزء الثالث من كتابنا «هكذا رأيتهم» بإذن الله .

وتهاديهم ، وتهانيهم ، ويحتوي علىٰ بعض وقائق العراق وأحواله ، وعلىٰ الخصوص المشهد الكريم ، والزاوية المقدّسة منه : النجف الأشرف»[1] .

وقد رأيت هذا الكتاب محققاً ، وقد أكملت النوادر الأدبية ، فأفدت منه كتابه نوادر الإمام في سيرته الذاتية ، وكانت رؤيتي له صدفة وفجأة في ١ / جمادىٰ الأولىٰ / ١٤٢٣ هـ = ١١ / تموز / ٢٠٠٢ م .

والحق أنّي مبتهج وأنا أكتب آثار الإمام أن وقفت علىٰ ثلاثة أعمال مهمة من أعمال كاشف الغطاء العلمية والسياسية والتأريخية هذا الشهر ، وهي من جهود ثلاثة من الأصدقاء الأعزّاء ، أذكرها علىٰ التوالي :

١ ـ المراجعات الريحانية ـ للإمام / تحقيق العلّامة المفضال السيّد محمّد السيّد عبد الحكيم الموسوي الصافي / في مجلدين ضخمين وقد أكملا صفاً في دمشق ، وهما في الطريق إلىٰ الطبع .

٢ ـ مذكرات الإمام كاشف الغطاء ـ تحقيق الأستاذ المحقق كامل سلمان الجبوري ـ ضمن كتابه الجليل : النجف الأشرف وحركة الجهاد ـ ١٣٣٢ ـ ١٣٣٣ هـ = ١٩١٤ ـ ١٩١٥ م / مؤسسة المعارف للمطبوعات / بيروت / ٢٠٠٢ م .

٣ ـ العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية للإمام كاشف الغطاء / تحقيق : الدكتور جودت كاظم القزويني / الطبعة الأولىٰ / بيروت .

أمّا مؤلفات الإمام كاشف الغطاء فهي علىٰ نوعين مطبوعة ومخطوطة ، فالمطبوعات منها فعلىٰ نحوين من التأليف ؛

الأوّل : في العقائد والأدب والأخلاق والسياسة والحكمة والفلسفة

---

(١) ظ : جودت القزويني / العبقات العنبرية لكاشف الغطاء / ١٨ ـ ١٩ وأنظر مصدره .

والدعوة إلىٰ الإسلام ، ومقارعة الظالمين ، ومكافحة الإستعمار العالمي .

الثاني : ينتظم كتبه في الفقه ، والافتاء ، والفقه المقارن ، والفقه الدولي .

وأمّا المخطوطة فقد تجاوزت العشرين في مختلف الفنون والتخصصات ، وأبرزها : الفقه ، والفقه الاستدلالي ، وهو علم الأصول ، والأدب والتفسير ، وعلم الكلام ، والفلسفة ، وأدب الرحلات . والترجمة عن الفارسية والعربية .

وإليك كشفاً ببلغرافياً في كلا النوعين :

أولاً : الآثار المطبوعة أعرف منها :

١ ـ الآيات البينات / طبعتان .

٢ ـ الأرض والتربة الحسينية / عشر طبعات / ترجم إلىٰ عدّة لغات .

٣ ـ أصل الشيعة وأصولها / أكثر من عشرين طبعة / ترجم إلىٰ عدّة لغات .

٤ ـ التعليق علىٰ تبصرة العلّامة الحلّي / طبع عام ١٣٣٨ هـ = ١٩٢٠ م .

٥ ـ التعليق علىٰ كتاب معالم الإصابة .

٦ ـ التعليق علىٰ ديوان السيّد محمّد سعيد الحبوبي النجفي (ت ٣٣٣ هـ) .

٧ ـ التعليق علىٰ كتاب «الوساطة بين المتنبي وخصومه» .

٨ ـ التوضيح في الإنجيل والمسيح / ١٣٣٠ هـ .

٩ ـ تحرير المجلّة / خمسة أجزاء / درّسها في كلّية الحقوق ببغداد الأستاذ الشاعر الحقوقي المرحوم حسين علي الأعظمي .

١٠ ـ حاشية علىٰ سفينة النجاة لأخيه الشيخ أحمد كاشف الغطاء / أربع مجلدات / طبع مرتين .

١١ ـ حاشية علىٰ العروة الوثقىٰ للسيّد اليزدي قدّس سرّه .

١٢ ـ حاشية على مجمع الرسائل .

١٣ ـ حاشية على عين الحياة .

١٤ ـ خطبته في المؤتمر الإسلامي في القدس الشريف عام ١٣٥٠ هـ.

١٥ ـ خطبته في المؤتمر الإسلامي في الباكستان عام ١٣٧١ هـ.

١٦ ـ الخطب الأربع / عدّة طبعات .

١٧ ـ الخطبة التأريخية / عدّة طبعات .

١٨ ـ الدين والإسلام الدعوة الإسلامية / صيدا / ١٣٣٠ هـ.

١٩ ـ زاد المقلدين / رسالة عملية / عدّه طبعات .

٢٠ ـ سؤال وجواب / رسالة عملية / عدّة طبعات .

٢١ ـ سحر بابل وسجع البلابل / شرح وتعليق على ديوان السيّد جعفر الحلّي / لدي منه الطبعة الحجرية الأولى .

٢٢ ـ مختارات من شعراء الأغاني / ضمن سلسلة حديث الشهر / بغداد / ١٩٥٢ م .

٢٣ ـ المحاورة بين السفيرين (الأمريكي والإنكليزي) عدّة طبعات الأولى في النجف .

٢٤ ـ المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون /عدّة طبعات الاولى في النجف.

٢٥ ـ المراجعات الريحانية / الأولى في لبنان / ١٣٣١ .

٢٦ ـ الميثاق العربي الوطني /عدّة طبعات /الأولى في النجف الأشرف.

٢٧ ـ العبقات العنبرية / ذكرتها في عداد المخطوطات ، وقد طبعت أخيراً بتحقيق : الدكتور جودت القزويني .

٢٨ ـ الفردوس الأعلى / مطبوع ولم أره .

٢٩ ـ في السياسة والحكمة /دار التوحيد الإسلامي /بيروت/ ١٤٠١هـ.

٣٠ ـ نبذة من السياسة الحسينية / عدّة طبعات / الأولىٰ في النجف الأشرف.

٣١ ـ الوجيزة الصغرىٰ / رسالة عملية / طبعت عدّة مرات / فارسية.

٣٢ ـ الوجيزة الكبرىٰ / رسالة عملية / طبعت عدّة مرات / عربية.

ثانياً: الآثار المخطوطة، أبرزها مع استمرار الترقيم:

٣٣ ـ تعليق علىٰ أمالي السيّد المرتضىٰ علم الهدىٰ.

٣٤ ـ تعليق علىٰ أدب الكاتب لابن قتيبة الدينوري.

٣٥ ـ تعليق علىٰ كتاب (الوجيز في تفسير القرآن العزيز) للشيخ علي محيي الدين، طبع الأصل وحققّه الدكتور عبد الرزاق محيي الدين تلبية لرغبة الإمام السيّد محسن الحكيم (قدّس سرّه).

٣٦ ـ تنقيح الأصول.

٣٧ ـ تعليقات علىٰ الفتنة الكبرىٰ لعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين.

٣٨ ـ حاشية علىٰ مكاسب الشيخ الأنصاري (ت ١٢٨١ هـ).

٣٩ ـ حاشية علىٰ رسائل الشيخ الأنصاري (فرائد الأصول).

٤٠ ـ حاشية علىٰ قوانين الأصول.

٤١ ـ حاشية علىٰ كفاية الأصول للشيخ محمّد كاظم الآخوند (ت ١٣٢٩ هـ).

٤٢ ـ دائرة المعارف العليا / تحدثنا عنه سابقاً.

٤٣ ـ ديوان شعره الضخم في مختلف الأغراض.

٤٤ ـ رسالة في الجمع بين الأحكام الظاهرية والواقعية ومراتب الحكم.

٤٥ ـ شرح العروة الوثقيغ لأستاذه الطباطبائي اليزدي / فقه استدلالي .

٤٦ ـ عقود حياتي / وهي سيرة ذاتية بقلمه الشريف ، وكان المعروف أنّ الكتاب مفقود ؛ حتّىٰ استخرجه من مكمنه صديقنا الأستاذ كامل سلمان الجبوري وطبعه ضمن كتاب / النجف الأشرف وحركة الجهاد .

٤٧ ـ مجموعتان من المنتخات الشعرية .

٤٨ ـ مجموعة مراسلاته العلمية .

٤٩ ـ ملخص كتاب الأغاني .

٥٠ ـ مغني الغواني عن الأغاني في ألف صفحة .

٥١ ـ نقد كتاب ملوك العرب .

٥٢ ـ نهزة السفر ونزهة السمر .

(رحلته إلىٰ الحجاز وسوريا ومصر عام ١٩١١ م ـ ١٣٢٩ هـ) .

وقد ترجم إلىٰ العربية من الفارسية :

٥٣ ـ رحلة ناصر خسرو .

٥٤ ـ فارسي هيئت .

٥٥ ـ حجة السعادة .

أضف إلىٰ هذه كلّه مئات البحوث والمقالات والكلمات ، والخطب ، مما نشر في الصحف والمجلات والمنشورات ، ومقدمات الكتب ، والتقاريض ، مما ينهض بعدّة مجلدات .

وكلّ كتب الإمام كاشف الغطاء من المطبوعة والمخطوطة والمنشورة مما ذكرته آنفاً ، ومما لم أطّلع عليه ، جميعها بحاجة إلىٰ طبعة جديدة

أنيقة، مع التحقيق العلمي المتخصص، لأنّها ثروة فكرية نفيسة تحنّ إلىٰ الأيدي الأمينة التي تخرجها إلىٰ النور إخراجاً حديثاً، يتناسب مع عمق فوائدها، وبعنوان يجلب الأنتباه.

لقد تكلمت مراراً وتكراراً مع ولده الشيخ شريف كاشف الغطاء، حول هذا الموضوع الحيوي، ولم أتسلم إلّا العبارة الرقيقة ـ أطال الله عمرك ـ جزاك الله خيرا ـ وإلّا المواعيد.

إنني أقترح علىٰ المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف الأمر بهذه المهمّة علىٰ شكل موسوعة باسم: «الأعمال الكاملة للإمام كاشف الغطا» أو «موسوعة الإمام كاشف الغطاء» وهذا ما عليه العصر اليوم، فقد صدرت «الأعمال الكاملة للدكتور طه حسين» و «موسوعة جبران خليل جبران» وسواهما، وهي تضم كلّ ما قال وكتب وألف ونشر، فإنّ امتنع ولده عن الإستجابة والموافقة ـ وهو ما أعتقده ـ فليؤخذ بـ «قاعدة لا ضرر ولا ضرار».

إنّ كتب الإمام كاشف الغطاء تمثل خطوه رائدة في تخطّي إمكانات عصره، وفيها سجل حافل من الأحداث لم تدوّن، وهي حاكية عن تطويره لثقافة زمنه المحدودة، وفيها ملحظ مرجعي دقيق للتوجهات الإصلاحية والإجتماعية، وعليها مسحة من الشعور الفياض بالوطنية والإنسانية، وهي نفثات موثور حيناً، وهمسات بلبل سجين حيناً آخر، وألحان طليق أحياناً.

ولو استجبنا لهذا النداء، لكنا قد أنصفنا الرجل وأنصفنا أنفسنا، وأنصفنا تراث أهل البيت والمرجعية، وأنصفنا التأريخ.

وفاته ومراسم تشييعه وتأبينه :

إنحرفت صحة الإمام كاشف الغطاء في أواخر شوال / ١٣٧٣ هـ، فطلبت إليه وزارة الصحة العراقية دخول مستشفىٰ الكرخ ببغداد فدخله، فتحسنت صحته نوعاً ما، ولكنه أجهد نفسه بكثرة المقابلات، ووفود العائدين، فقرر السفر إلىٰ (كرند) قرية في إيران علىٰ الحدود العراقية، فوصل إليها ليلة السبت ١٦ / ١١ / ١٣٧٣ هـ، ومضت عليه ليلتان هناك، فأصيب بجلطة قلبية فارقت فيها روحه عالم الدنيا، وذلك صباح الأثنين ١٨ / ذي القعدة / ١٣٧٣ هـ = ١٨ / تموز / ١٩٥٤ م.

ووصل النبأ للعراق فنعته الأذاعة، ونقل الجثمان إلىٰ بغداد، فاستقبل إستقبالاً عظيماً علىٰ المستوىٰ الشعبي والرسمي، وحجز له قطار خاص نقله إلىٰ كربلاء المقدّسة، مع شخصيات البلاد وعلّية القوم، والعلماء والوزراء، وجمهور غفير من الناس، وآل كاشف الغطاء، ولفيف من رجال الدين.

وصل القطار كربلاء الساعة الخامسة فجراً، والتفت وفود المشيعين من أنحاء العراق في كربلاء بمئات الآلاف، ونقل الجثمان إلىٰ النجف الأشرف ـ سيراً علىٰ الأقدام إلىٰ خارج كربلاء، واستقلالاً بالسيارات الىٰ قرب النجف، حيث استقبل خارج البلد، بجماهير واسعة، ولكنّها غير منظمة لشدّة الزحام وحمّارة القيظ، فنحن في تموز، فكان في التشييع المراجع والعلماء والأدباء والوجهاء، وبقية الطبقات، وخرجت النجف كلّها بشيوخها وشبابها حتىٰ النساء المحجبات والصبية والأطفال، فكان يوماً مشهوراً حقّاً، ضاقت به البيداء بين النجف وكربلاء، ذلك اليوم الثلاثاء ١٩

/تموز / ١٩٥٤ = ١٩ / ١١ / ١٣٧٣ هـ، وكنت وطبقة من الشباب الديني في التشييع، وقد شق الجثمان الشارع العام من قبل ساحة ثورة العشرين حتىٰ الساحة ثمّ الشارع الممتد إلىٰ السوق الكبير، فسوق الكبير، حتّىٰ أقفلت الأسواق، وعطلت حركة البيع والشراء، وعطلت الأعمال كافة، ثمّ أدخلت الصحن الشريف بين التهليل والتكبير، وقد غمرت بموجةٍ صاخبة من الحزن العميق، وأجهشت بالبكاء عدّة مرات، وأُصِبتُ بذهول مفجع، بما لا أستطيع تفسيره إلّا بالمحبّة الخالصة للفقيد العظيم، والشعور بخسارة العالم العربي والإسلامي بوفاته.

وبعد الصلاة عليه في الصحن الحيدري الشريف، وأداء مراسم زيارة مرقد أمير المؤمنين، خرجت الجماهير بالجثمان إلىٰ وادي السلام، ودفن بمقبرته الخاصّة التي أعدّها لنفسه هناك في فسيح رائع من الرملة السمراء، وكانت في نهاية جبّانة النجف، بالقرب من مقبرة رفيق عمره جدنا الشيخ حسين الصغير، أما اليوم فهي في بدايتها أو قريباً من ذلك، وتلوح عليها القبّة البيضاء الصغيرة.

وعمت الفواتح قصبات العراق من أقصاه إلىٰ أدناه، وأقيمت أبرزها وأعظمها في النجف الأشرف أكثر من شهر بدأها المراجع، والهيئات العلمية، والكسبة، وأرباب الصنائع، والخطاء، ومحلات النجف الأربع.

وكانت فواتح المراجع العظام، ومن بحسابهم، أبرز تلك الفواتح، أذكر منها أهمها:

١ ـ فاتحة السيّد محسن الحكيم قدّس سرّه.

٢ ـ فاتحة السيّد عبد الهادي الشيرازي قدّس سرّه.

٣ ـ فاتحة السيّد محمود الشاهرودي قدّس سرّه.

٤ ـ فاتحة الشيخ عبد الكريم الجزائري قدّس سرّه .

٥ ـ فاتحة السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي قدّس سرّة .

٦ ـ فاتحة السيّد جمال الدين الكلبايكاني (الهاشمي) قدّس سرّه .

٧ ـ فاتحة السيّد حسين الموسوي الحمامي قدّس سرّه .

٨ ـ فاتحة السيّد محمّد باقر الشخص قدّس سرّه .

٩ ـ فاتحة الشيخ عبد الكريم الزنجاني رحمه الله .

وكانت الجمعيات الأدبية في النجف قد أقامت الفواتح :

١ ـ جمعية الرابطة العلمية الأدبية .

٢ ـ جمعية منتدىٰ النشر ومجمعها الثقافي .

٣ ـ جمعية التحرير الثقافي .

وأقامت الحوزة العلمية العربية فاتحة متميزة وقف فيها عيون أهل الفضل ، وأقام خطباء المنبر الحسيني فاتحة كبرىٰ .

هذا عدا فاتحة أسرة الفقيد ، وجملة من الحوزات العلمية في النجف كالأفغانية والتبتية وأضرابهما ، وكذلك أرباب الحرف والتجارة والكسبة ، ومحلة العمارة والمشراق والبراق .

قصيدة المؤلف في رثائه :

وكان الأثر النفسي للفاجعة بوفاة الشيخ كاشف الغطاء قد طغىٰ علىٰ مشاعر الشباب العراقي ، وقد استقطب هذا الشعور الفياض كوكبة من الشعراءالناشئين ، وكنت أحدهم ، فرثيته بقصيدة أدع تقييمها للقارئ فهي أوّل شعر نظمته في حياتي ، وأثبتها كما هي في عنوانها ومقدّمتها كما جاء في ديواني المخطوط :

«في رثاء الإمام كاشف الغطاء»

ألقيت هذه القصيدة في مسجد الأستاذ الأعظم الشيخ مرتضىٰ الأنصاري قدّس سرّه في ٢٥ / ١١ / ١٣٧٣ هـ = ٢٥ / ٧ / ١٩٥٤م في رثاء فقيد الشرق العربي والإسلامي الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء، وأعيد إلقاؤها في جامع الهندي في النجف الأشرف برعاية الإمام الأكبر السيّد محسن الحكيم قدّس سرّه وهي أوّل قصيدة نظمها الشاعر وألقاها إرتجالاً، وهو بعدُ لم يبلغ الحلم، وأحدثت ضجّةً أدبية.

باقٍ عَلىٰ مرِّ الزمانِ مخلدُ ... ذكر الحسين مع الشفاه يرددُ
يستقبلُ الأجيالُ في نَفحاتِهِ ... أَرَجاً.. وَيَغمُرهُ الجَلالُ ويحشدُ
هو ذلك البطلُ العظيمُ وعِندَهُ ... للصالحات صحائفٌ تتجسدُ
شخصيةٌ عَظُمتْ علىٰ أقرانِها ... شرفاً... وكان بها الملا يَسترشِدُ
تهدي العقول إلىٰ الصلاحِ بمنطقٍ ... بشعاعِهِ يُلقىٰ الصلاح ويُنشَدُ
وتؤصلُ الدينَ الحنيفَ مُجدِداً ... والدينُ في أسلوبِهِ يتجددُ
أنىٰ إستطال الموت في ظلماتِهِ ... سعياً إليه... وهل يغيبُ الفرقدُ
والبحرُ لا يخفيه قبرٌ ضيّقٌ ... في طيّه.. وهو الخضَمُ المزبدُ

* * *

أبتاهُ لو أجدىٰ الرثاءُ لصغتُهُ ... عِقداً به جيد الزمان يقلّدُ
ونشرتُ من قلبي الحزين قصيدةً ... يَشدو بها عُودُ الخلود ويَنشدُ
لرأيتَ كيفَ الحبّ يُفرِغُ رُوحَهُ ... شعراً.. وكيف به الأسىٰ يتوقّدُ
في كلِّ قلبٍ حسرةٌ رقراقةٌ ... وبكلِّ عين عبرةٌ لا تجمدُ

مـــاذا يـفيدُ الدمـعُ لو صـيَّرتُهُ ... شعراً يفيضُ.. وأنتَ أنتَ المـوردُ
وبكـــلِّ آونـــةٍ لكـــلِّ رزيـته ... أثـران: قـافيةٌ.. وحـزنٌ سَـرمَدُ
إنّـــا فـــقدنا والداً مـن عـطفِهِ ... نُـــروىٰ.. وعـن أبـنائِهِ يَـتَفقّدُ
طُـويتْ أمـانينا.. وعـزّ نـصيرُنا ... وغـزا نـوادينا العـدو المـلحدُ

❊ ❊ ❊

إيـــهاً أبـا عـبد الحـليم تـحيّةً ... فعظيمُ فـضلِكَ ليسَ فـينا يُـجحدُ
أفـنيتَ عـمرَكَ بـالصلاحِ وبـالتقىٰ ... لله تـــعملُ جـــاهداً وتـــوحِّدُ
وعـلمتَ أن العِـلمَ مـا يـهدى بِـهِ ... عقلٌ.. ويـفتحُ فـيه بـابٌ مـوصدُ
خَلدّتَ مجدَك في الحياة مـواقـفاً ... وصـحائفاً.. فـيها الحياةُ تـخلّدُ
«فـالدينُ والإسـلام» فـي «آيـاته» ... يهدي إلىٰ «المُثل» الصحاح ويرشُدُ
و«أصول» مذهب آل بيتِ مـحمّدٍ ... راحتْ «بـتربتك» الزكـيّة تـعقَدُ
وزهتْ «بـتحرير المـجلّة» أنـفسٌ ... كـــانتْ بأغـلال الجـمود تـقيّدُ
صـحفٌ سـيرفعها الزمـانُ مـنائراً ... يحيا بـها الجـيل الجـديد ويسـعدُ

رحم الله الفقيد العظيم، وجعلنا من السائرين في ظلال حياته الفعلية والإنسانية.

والحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

kashefalghtaa@gmail.com

www.kashefalghtaa.com/site

info@kashefalghtaa.com

موبايل- ٠٧٨٠١٢٧٣٣٨٤ ارضي ٠٠٩٦٤-٠٣٣-٣٣٤١٤٤

النجف الاشرف- محلة العمارة- مجاور مدرسة الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء- الدينية ومجاور مسجد ومقبرة أل كاشف الغطاء(قده)